مِعْرَاجُ التَّشَوُّفِ
إِلَى حَقَائِقِ التَّصَوُّفِ

وَيَلِيهِ كِتَابُ

كَشْفُ النِّقَابِ
عَنْ سِرِّ لُبِّ الأَلْبَابِ

لِلشَّيْخِ
عبد الله أحمد بن عجيبة

ت: 1224 هـ

تقديم وتحقيق
د. عبد المجيد خيالي

مركز التراث الثقافي المغربي
الدار البيضاء

مِعْرَاجُ التَّشَوُّفِ

إِلَى حَقَائِقِ التَّصَوُّفِ

للشَّيخ

عبد الله أحمد بن عجيبة

ت: 1224 هـ

تقديم وتحقيق

د. عبد المجيد خيّالي

مركز التّراث الثقافي المغربيّ

الدّارُ البيضاء

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه .

/ 1 / **الحمد** لله الذي حَقَّقَ الحقائقَ ، وأوضَحَ الطرائق ، والصلاة والسلام على [**سيدنا**] (1) ومولانا محمد سيد الخلائق ، والمخصوص بتواتر المُعْجِزَاتِ ، وتظاهر الخَوَارِقِ ، وَرَضِيَ الله تعالى عن أصحابه الأعلام ، الذين أظهر الله بهم دينه (2) القويم في أقصى المغارب والمشارق .

وبعد : [فَـعلَمْ] (3) التصوف هو سيد العلوم ورئيسها ، ولُبَابُ الشريعة وأساسها ، وكيف لا ، وهو تفسيرٌ **لمقام الإحسان** الذي هو مقام الشهود والعيان ، كما أن **علم الكلام** تفسير **لمقام الإيمان** ، **وعلم الفقه** تفسير **لمقام الإسلام** ، وقد اشتمل حديث جبريل عليه السلام على تفسير الجميع ، فإذا تقرر أنه أفضل العلوم تَبَيَّنَ أن الاشتغال به أفضل ما يتقرب به إلى الله تعالى لكونه سببًا للمعرفةِ الخاصَّةِ التي هي معرفة العيان .

وقد اشتمل على حقائق غريبة ، وعبارات دقيقة ، اصطلح القومُ على استعمالِهَا . فينبغي الوقُوف على معانيها ، لمن أراد الخوض فيهِ ، والوقوف على معانيه ، وقد أردت بحول الله وقوته ، أن أجمع نبذة صالحة من حقائق هذا الفن واصطلاحاته ، لعل الله ينفع به من يريد الوقوف على هذا العلم .

وسميتهُ : معْرَاجَ التَّشوُّفِ إلى حقائق التصوف . وبالله التوفيق ، وهو الهادي إلى سواء الطريق . . . وسأذكر لكل حقيقة ما يتعلق بها بداية ووسطًا ونهاية .

1 ـ **التَّصَوُّفُ** : علمٌ يعرف به كيفية السلوك إلى حضرة ملك الملوك ، أو تصفية البواطن من الرذائل وتحليتها بأنواع الفضائل ، أو غيبة الخلق في شهود

---

(1) ما بين المعقوفتين سقط من : أ . الزيادة من : ب .

(2) أ : دين . التصويب من : ب .

(3) ما بين المعقوفتين سقط من : أ . الزيادة من : ب .

الحق، أو مع الرجوع إلى الأثر فأوله علم ، ووسطه عمل ، وآخره موهبة .

2 ـ واشتقاقه : إما من الصَّفَا ؛ لأن مداره على التصفية ، أو من الصِّفَة ؛ لأنه اتصاف بالكمالات ، أو من صُفَّة المسجد النبوي؛ لأنهم متشبهون بأهل الصُّفَّة في التوجه والانقطاع ، أو من الصوف ؛ لأجل لباسهم الصوف تقللا من الدنيا وزهدًا فيها اختاروا ذلك ؛ لأنه كان لباس الأنبياء عليهم السلام ، وهذا .

3 ـ الاشتقاق : أَلْيَقُ لُغَةً ، وأظهر نسبةً ، لأن لباس الصوفِ حكم ظاهر على الظّاهر ، ونسبتهم إلى غيره أمر باطن ، والحكم بالظاهر أوفق وأقرب . يقال : تَصَوَّفَ إذا لبس الصوف . كما يقال : تَقَمَّصَ إذا لَبِسَ القميص ، والنسبة إليه صوفي .

قالَ سهل [1] : « الصُّوفِيُّ من صفى من الكدر / 2 / وامتلأ من الفكر ، وانقطع إلى الله من البشر ، واستوى عنده الذهب والمدر [2] [3] أي [4] لا رغبة له في شيء [5] دُونَ مَوْلاَهُ » .

قالَ الجُنَيْد [6] : « الصُّوفِيُّ كَالأَرْضِ يُطْرَحُ عَلَيْهَا كُلُّ قَبِيحٍ ، وَلا يَخْرُجُ مِنْهَا إلا الْمَلِيح » .

---

(1) هو أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى بن عبد الله بن رفيع التستري تخرج عن خاله محمد بن سوار ، ولقي أبا الفيض ذا النون المصري بالحرم ، توفي سنة (283هـ) ، وقيل: سنة (273 هـ) ترجم له في: صفة الصفوة : (4 / 41 - 42) الطبقات الكبرى للشعراني : (1 / 77 - 79 رقم 149) . طبقات الصوفية للسلمي (ص 166 -171) .

(2) المدر : قطع الطين اليابس ، وقيل : الطين العِلْكُ الذي لا رَمْلَ فيه . لسان العرب لابن منظور مادة « مدر » . (5 / 162) .

(3) انظر نقل هذا التعريف في كتاب : « التعرف لمذهب أهل التصوف للكلابذي المتوفى سنة (380 هـ)» . (ص : 19). وانظر مثله لأبي بكر الشبلي في حلية الأولياء (23/1) .

(4) سقط من : أ ، الزيادة من : ب .

(5) سقط من : أ ، الزيادة من : ب .

(6) هو الجنيد بن محمد بن الجنيد أبو القاسم الخزار القواريري كان أبوه يبيع الزجاج، أصله =

وَقال أيضًا : « الصُّوفِيُّ كَالأَرْضِ يَطَأُهَا البَرُّ وَالْفَاجِرُ . وكالسماء يُظِلُّ كُلَّ شَيْءٍ، وكالمطر يسقي كل شيء » . أ هـ .

4 ـ **التوبة** : الرجوع عن كل فعل قبيح ، إلى كل فعل مليح ، أو عن كل وصف دنيّ إلى التحقق بكل وصف سَنِيٍّ [1] « أو عن شهود الخلق إلى الاستغراق في شهود الحق » [2].

وشروطها : النَّدَمُ وَالإِقْلاَعُ وَنَفْيُ الإصْرَار . وأمّا رَدُّ المَظَالِمِ فـفرض مستقلٌ تَصِحُّ بدونه ، كما تصحُّ من ذنب مع الإصرار على آخر من غير نوعه . فتوبة العامَّة من الذنوب ، وتوبة الخاصة من العيوب ، وتوبة خاصَّة الخَاصَّة من كل ما يشغل السِّرَّ عن حضرة عَلاَم الغيوب ، وَكُلّ المقامات تفتقرٌ إلى التوبة ، فالتوبة تفتقر إلى توبة أخرى بَعْدَ نَصُوحِهَا ، **والخوف** يفتقر إليها بحصول الأمن والاعْتزاز، **والرَّجَاء** بحصول القنوط والإياس ، **والصبر** بحصول الجزع ، **والزُّهْدُ** بخواطر الرَّغْبَةِ ، **والوَرَعُ** بِتَتَبُّعِ الرُّخصِ أو خواطر الطمع ، والتوكل بخواطر التدبير والاختيار ، والاهتمام بالرزق ، ، **والرضا والتسليم** بالكراهية ، والتبري عند نزول الأقدار ، والمراقبة بسوء الأدب في الظاهر ، وخواطر السوء في الباطن، والمحاسبة بتضييع الأوقات في غير ما يقرب إلى الحق والمحبّة بميل القلب إلى غير المحبوب ، والمشاهدة بالتفات السِّرّ إلى غير المشهود ، أو باشتغاله بالوقوف مع شيء من الحِسّ وعدم زيادة الترقي في معاريج الأسرار ؛ ولذلك كان عليه الصلاة والسلام « يستغفر في المجلس الواحد سبعين مرة أو مائة » .

والتوبة النصوح : يجمعها أَرْبَعَةُ أَشْيَاء : الاستغفارُ بِاللِّسَانِ ، والإقلاعُ بالأبدان، وعدم الإصرار بالجنان، ومهاجرة سَيِّ [3] الخلان .

= من نهاوند ومنشأه ومولده بغداد توفي سنة (298 هـ) . ترجسم له في طبقات الصوفية (139 - 134) ـ الرسالة القشيرية (430) .

(1) سَنِيٌّ : رفيع .

(2) ما بين المعقوفتين سقط من : ب .

(3) سقط من : ب .

وقال سفيان الثوري (1) : علامة التوبة النصوح أربعة : « القِلَّةُ ، وَالعِلَّةُ ، والذِّلَّةُ، والغُرْبَةُ » .

5 ـ الإنابة : وهي أخص من التوبة ؛ لأنها رجوع يصحبه انكسارٌ ونهوض إلى السير ، وهي ثلاثة مراتب : رجوع من الذنب إلى التوبة ، ومن الغفلة إلى اليقظة، ومن الفرقِ إلى الجمع على الله .

6 ـ الخوف : انزعاجُ القلبِ من لُحُوقِ مكروه أو فوات مرغوب ، وثمرته : النُّهُوضُ إلى الطاعة ، والهروب من المعصية ، فإظهارُ الخوف مع (2) التقصير دعوى . فخوف العامّة من العِقَابِ، وفوت (3) الثواب . ،وخوف الخاصة من العتَّابِ وَفَوْتِ الاقتراب . وخوف خاصة الخاصة من الاحتجاب / 3 / بعروض سُوءِ الأدب.

7ـ الرجاء (4) : سكون القلب إلى انتظار محبوب بشرط السعي في أسبابه ، والإ فَأُمنيةٌ وغُرورٌ . فرجاء العامّة حُسْنُ المآب بحصول الثواب ، ورجاء الخاصة حصول الرضوان والاقتراب ، ورجاء خَاصَّة الخاصّة التمكين من الشهود وزيادة الترقي في أسرار الْمَلك الودود (5) . والخوف والرجاء للقلب كجناحي الطير ، لا يطير إلا بهما ، وَرُبَّمَا يُرَجّحُ الرّجاء عند العارفين ، والخوف عند الصالحين .

8 ـ الصبر (6) : حبس القلب على حكم الرّبّ ، فصبر العامة حبس القلب

---

(1) هو سفيان بن سعيد الثوري لَقَّبَهُ شعبة بأمير المؤمنين في الحديث ، توفي بالبصرة سنة (161 هـ) في خلافة المهدي . ترجم له في : صفة الصفوة : (71/3 - 74) - تاريخ الثقات للعجلي (ص : 190 - 193 رقم 571) .

(2) ب: من .

(3) أ : وفوات . والتصويب من : ب .

* للمزيد عن تعريف التوبة انظر الرسالة القشيرية (ص 91 - 97) .

(4) قال تعالى : ﴿ **مَن كَانَ يَرجُو لِقَاءَ اللَّه فَإِنَّ أَجَلَ اللَّه لآتٍ** ﴾ [العنكبوت آية : 5] .

(5) في ب: المعبود .

(6) قال تعالى : ﴿ **وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّه** ﴾ [النحل آية : 127] .وعن أنس قال رسول الله ﷺ : « **الصبر عند الصدمة الأولى** » أخرجه البخاري في صحيحه. كتاب الجنائز. باب الصبر عند الصدمة الأولى حديث(1302) .

على مشـاق الطاعات ورفض المخـالفات . وصبـر الخاصة : حـبس النفس على الرّياضات والمجـاهدات وارتكاب الأهوال في سلوك طريق الأحوال ، مع مراقـبة القلب في دوام الحضـور ، وطلب رفع الستور . وصبـر خاصة الخاصـة : حبس الروح ، أو السِّرّ في حضـرة المشاهدات والمعاينات ، أو دوام النظرة والعكوف في الْحَضْرة .

9 ـ الشـكـر [1] : فرح القلب بحـصـول النِّعمة مع صَـرْف الجوارح في طاعة الْمُنعِم، أو الاعتـراف بنعمة الْمُنـعِم على وجه الخضـوع. وَمَرْجِعُـهُ لثلاث : شكر باللسان : وهو اعـترافه بالنِّعمة ؛ بنعـمة الاستكانة . وشكر بالبـدن وهو اتصافُهُ بالخدمـة . وشكر بالقلب : وهو شهـود الْمُنْعِم عند حصـول النعمـة . « ومرجع الكل إلى ما قال الجنيد : ألا يعصي الله بنعمه ، فشكر العامة الثناء باللسان وشكر الخاصة الخدمةُ بالأركان، وشكر خاصة الخاصة الاستغراق في شهود المنَّان » [2] .

10 ـ الـورع [3] : كَفُّ النَّفْسِ عن ارتكاب ما تُكْرَهُ عاقبـتُهُ . فورعُ العامَّة ترك الحرام الْمُتَشَابَه ، وورع الخاصة ترك كل ما يُكَدِّرُ القلبَ ويجد منه كزازة وظلمة ، ويجمعُهُ قوله عليه السلام : « **دع ما يريبك ، إلى ما لا يريبك** »[4] . وورع خاصة الخاصة : رفض التعلق بغيـر الله ، وسد باب الطمع في غير الله ، وعكوف الهم على الله ، وعدم الركون إلى شيء سـواه . وهذا هو الورع الذي هو ملاك الدين كما قال الحسن البصري [5] حين سُئِلَ عن ملاك الدين ؟ فقال: الورع. قيل له :

---

(1) قال تعالى : ﴿ **لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ** ﴾ [سورة إبراهيم آية : 7] .

(2) ما بين المعقوفتين سقط من المطبوع .

(3) **الـورع** : هو الابتعاد عن الشبـهات والمعاصي . وفي الحديث « **كُنْ وَرِعًـا تَكُنْ أعبـد النـاس**» رواه أبو هريرة وأخرجه ابـن ماجه فى سننه كتاب الزهـد باب الورع والتقوى حديث (4217) وقد حسنه الهيثمي فى كتابه مجمع الزوائد .

(4) أخرجه الترمذي في السنن كتاب صفة القيامة باب (60) حديث (2525/8) (4 / 232) برواية الحسن بن علي وقال الترمذي : « حديث حسن صحيح » .

(5) هو الحسن بن أبي الحسن بن يسار البصري توفي سنة (110هـ) . ترجم له في تاريخ =

وما فساد الدين ؟ قال : الطمع . فَالْوَرَعُ الذي يُقابِل الطمع كل المقابلة هو ورع خاصة الخاصة وجزء منه يعدل آلافًا من الصلاة والصيَّام . ولذا قال في التنوير : وليس يدل على فهم العبد كثرةُ علْمه ولا مداومتهُ على ورْده ، وإنما يَدُلُّ على نوره وفهمه غنَاه بربه ، وَانْحِيَاشُهُ إِلَيْهِ بقلبه ، والتحرز من رقّ الطَّمع والتحلِي بحلية الورع [1] (ا .هـ) . يعني ورع الخاصة أو خاصة الخاصة . . والله تعالى أعلم [*] .

11 ـ الزهد : خلو القلب من التعلق بغير الرَّبِّ . أو برودة الدنيا من القلب، / 4 / وعزوف النفس عنها .فزهد العامة ترك ما فضل عن الحاجة في كل شيء . وزهد الخاصة ترك ما يشغل عن التقرب إلى الله في كل حال .وزهد خاصة الخاصة ترك النظر إلى ما سوى الله في جميع الأوقات . وحاصل الجميع برودة القلب عن السِّوَى ، وعن الرغبة في غير الحبيب وهو سَبَبُ المحبَّة كما قال عليه السلام : « **ازهد في الدنيا يحبك الله** » [2] . . الحديث وهو سبب السَّيْرِ والوصول إذا لاَ سَيْرَ للقلب إذا تعلق بشيء سوى المحبوب .

12 ـ التوكل[3] : ثقة القلب بالله حتى لا يعتمد على شيء سواه ، والتعلق

= الثقات للعجلي (ص : 113) ـ صفة الصفوة (2 / 127) ـ تهذيب التهذيب (2 / 263 - 270) تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس (ص56).

(*)عن الورع : انظر الرسالة القشيرية (ص109 - 115)

(1) انظر هذا النص في كتاب التنوير هي إسقاط التدبير لابن عطاء الله السكندري (ص 64) مطبوعات مكتبة عباس شقرون. بدون تاريخ .

(2) أخرجه ابن ماجه في سننه. كتاب الزهد (37) باب في الزهد في الدنيا (1) . حديث (4102) ، والحاكم في المستدرك ، كتاب الرقاق ، باب : ازهد في الدنيا . . (4 / 313) ـ أبو نعيم في الحلية ضمن ترجمة سلمة بن دينار (3 / 253) (240) . وذكره التبريزي في المشكاة (1433/3) ؛ وعزاه للترمذي ، وعزوه هذا غير سديد.

(3) قال سهل بن عبد الله: « أول مقام في التوكل أن يكون العبد بين يدي الله عز وجل كالميت بين يدي الغاسل يقلبه كيف شاء ، لا يكون له حركة ولا تدبير . وقال القصار : التوكل هو الاعتصام بالله تعالى ». الرسالة (ص 163) .

بالله والتعويل عليه في كل شيء علمًا بأنه عالم بكل شيء . أو أنْ تكون بما في يد الله أوثق منك بما في يدك ، فأدناه أن تكون مع الله كالمُوكل مع الوكيل الشفيق الملاطف ، ووسطه كالطفل مع أمِّهِ لا يرجع في جميع أموره إلا إليها ، وأعلاه أن تكون كالميت مع الغاسل ، فالأول للعامة ، والثاني للخاصة ، والثالث لخاصة الخاصة . فالأول قد يخطر بباله تهفة ، والثاني لا اتهام له ، لكن يتعلق بأمه عند الحاجة ، والثالث لا اتهام له ولا تعلق لأنه فان عن نفسه ، ينظر كل ساعة ما يفعل الله به .

13 ـ الرضا والتسليم : الرّضا تلقي المهالك بوجه ضاحك أو سرور يجده القلب عند حلول القضاء . أو ترك الاختيار على الله فيما دَبَّرَ وأمضى ، أو شرح الصّدر ورفع الإنكار لما يرد من الواحد القهار .

14 ـ والتسليم : ترك التدبير ، والاختيار بالسكون تحت مجاري الأقدار فيرادف الرضا على الحدّ الأخير ، والرضا أعظم منه على الأوَّلَيْنِ . وقيل: الرضا يكون عند النزول ، والتسليم قبل النزول ، وهو التفويض بعينه ، فبدايتهما بالصبر والمجاهدة ، ووسطهما بالسكون مع خواطر التبرّم والكراهية ، ونَهَايَتُهما بفرح وسكون مع عدم التبرّم . فالأوّل للعامّة ، والثاني للخاصة ، والثالث لخاصة الخاصة . ويغتفر الخاطر الأول عند الجميع لضعف البشرية إذ لا يخلو منه بشر.

15 ـ المراقبة (*) : إدامة علم العبد باطلاع الرب [1] ، أو القيام بحقوق الله سِرًا وجهرًا خالصًا من الأوهام . صادقًا في الاحترام ، وهي أصل كل خير [2] ، وبقدرها تكون المشاهدة ، فمن عظمت مراقبته ، عظمت بعد ذلك مشاهدته . فمراقبة أهل الظاهر : حفظ الجوارح من الهفوات ، ومراقبة أهل الباطن : حفظ

---

(1) ورد هذا التعريف في الرسالة القشيرية مع إسقاط كلمة : « إدامة » (ص 189) .

(2) ب : شيء .

(*) قال تعالى : ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا ﴾ [الأحزاب : 52] .

ـ سُئِلَ ابن عطاء : ما أفضل الطاعات ؟ فقال : مراقبة الحق على دوام الأوقات . الرسالة القشيرية (ص :191) .

القلوب من الاسترسال مع الخواطر والغفلات ، ومراقبة أهل باطن الباطن ؛ حفظ السر من المساكنة إلى غير الله .

16 ـ **المحاسبة** : عِتَابُ النفس على تضييع الأنفاس والأوقات في غير أنواع الطاعات، وتكون آخر النهار كما أنَّ / 5 / المشارطة تكون أول النهار. ويقول لنفسه في أوّل نهاره : هذا يوم جديد ، وهو عليك شهيد ، فاجتهدي في تعمير أوقاته بما يقربك إلى الله ولَوْ مِت بالأمسِ لَفَاتَكِ الخيْر الذي تفوزين به فيه ، وكذلك يقول لها عند إقبال الليل ويحاسبها عند إدباره . هكذا يدوم معها حتى تتمكن من الحضرة ، فحينئذ يتحد الوقت وهو الاستغراق في [الشهود] (1)، فلا يبقى من يحاسب ولا من يعاقب. فتحصل: أن المشارطة أولاً، والمحاسبة أخيرًا. والمراقبة دائمًا ما دام في السير. فإذا حصل الوصول فلا محاسبة ولا مشارطة .

16 ـ **المحبة** (*) : ميل دائم بقلب هائم ، ويظهر هذا الميل أولاً على الجوارح الظاهرة بالخِدمة ، وهو مقام الأبرار . وثانيًا على القلوب الشائقة بالتصفية والتحليسة ، وهو مقام المريدين السالكين . وثالثًا على الأرواح والأسرار الصافية بالتمكين ، من شهود المحبوب . وهو مقام العارفين . فبداية المحبة ظهور أثر بالخدمة ، ووسطها ظهور أثرها بالشكر والهيام ، ونهايتها ظهوره بالسكون والصَّحْوِ في مقام العِرْفَانِ . فلهذا انقسم النَّاسُ على ثلاث مراتب ؛ أربابُ الخدمةِ، وأربابُ الأحوالِ وأربابُ المقاماتِ . فبدايتها سلوك وخدمة ، ووسطها جذب وفناء ، ونهايتها صحْوٌ وبَقَاءٌ .

---

(1) ما بين المعقوفتين سقط من : أ . الزيادة من : ب .

(*) قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ** ﴾ [المائدة : 54] . وعن أبي موسى ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كَرِهَ لقاء الله كَرِهَ الله لقاءهُ** ». الحديث أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الرقاق ، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه . حديث (6508) (ص : 1640) .

(*) عن المشاهدة راجع كتاب اللُّمع للطوسي (ص 62 - 64) .

18- 19 ـ المشاهدة (*) **والمعاينة** : المشاهدة رؤية الذات اللطيفة في مظاهر تجلياتها الكثيفة، فترجع إلى تكثيف الّلطيف، فإذا ترقّى الوداد، ورجعت الأنوار الكثيفة (1) لطيفة فهي المعاينة ، فترجع إلى تلطيف الكثيف ، فالمعاينة أَرَقُّ من المشاهدة وأتم . **والحاصلُ** أن شهود الذات لا يمكن إلا بواسطة تكثيف أسرارها اللطيفة في مظاهر التّجليات ، إذ لا يمكن إدراك اللطيف ما دام لطيفًا ، فرؤية التجليات كثيفَة المشاهدة ، وردها إلى أصلها بانطباق بحر الأحدية عليها معاينة وقيل: هما سواء .

20 ـ المعرفة : وهي التمكن من المشاهدة واتصالها ، فهي شهود دائم بقلب هائم ، فلا (2) يشهد إلا مولاه ، ولا يعرج على أحد سواه ، مع إقامَة العدل وحفظ مراسم الشريعة . فهذه حدود المقامات قد انتهت في المعرفة . ثم ترجع إلى حقائق أخرى يكثر استعمالها بداية ونهاية منها :

21 ـ التقوى(*) : وهي امتثال الأوامر ، واجتناب المناكر في الظواهر والسرائر ، أو مواصلة الطاعات والإعراض عن المخالفات ، فتقوى العامة : اجتناب الذنوب وتقوى الخاصة : التخلي من العيوب ، وتقوى خاصة الخاصة : الغيبة عن السوي بالعكوف في حضرة عَلاَّمِ (3) الغيوب .

22 ـ الاستقامة (4) : استعمال / 6 / العلم بأقوال الرّسول عليه السلام ،

(*) عن المشاهدة راجع كتاب اللُّمع للطوسي (ص 62 - 64) .

(1) سقط من : ب .

(2) في ب : فما .

(*) قال تعالى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [الحجرات : 13] . قال أبو بكر محمد الروذباري : التقوى مجانبة ما يبعدك عن الله تعالى » . الرسالة القشيرية (ص 106) .

(3) سقط من : ب .

(4) قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [فصلت : 29] .

وأفعاله وأحــواله وأخلاقه من غير تعــمق ولا تأنق ولا ميل مع أوهام الوسواس ، والخروج عن المعهودات ، ومفارقـة الرسوم والعادات ، والقيام بين يدي الله تعالى عن حقـيقة السصدق في جمـيع الحالات ، وهي في الأقوال بترك الغيـبة ،وفي الأفعال بترك البـدعة ، وفي الأحوال بعدم الخروج عن سنن الشريعة . فاسـتقامة العامـة بموافقة السنة ، واسـتقامة الخـاصة بالتخلق بالأخـلاق النبوية . واستقـامة خاصة الخاصة بالتخلق بأخلاق الرحمن ، مع الاستغراق في حضرة العِيان .

23 ـ **الإخـــلاص** : إخراج الخلق في مـعاملة الحق ، وإفـراد الحق تعالى في الطاعة بالقصد أو غيبة القلب عن غير الرب. فإخلاص العامة تصفية الأعمال عن ملاحظة المخلوقين ، وإخلاص الخـاصة تصفيتـها عن طلب العوض في الدارين . وإخلاص خاصــة الخاصة التبـري من الحول والقوة ، ومن رؤية الغيـر في القصد والحركة حتى يكون العمل بالله ، ومن الله ، وإلى الله غائبًا عما سواه .

24 ـ **الصـــدق** (*) : إسقاط حظوظ النفس في الوِجْـهَة إلى الله تعالى تعويلا على ثلج اليـقين ، أو استـواء الظاهر والباطن في الأقـوال والأفعـال والأحوال، وملازمة الكـتمان غيرة على أسـرار الرحمن ، **وحـاصله** : تصفـية البـاطن من الالتفـات إلى الغير بالكليـة . والفرق بينه وبين الإخـلاص ، أن الإخلاص يُنفي الشرّك الجلي والخفي ، والصدق ينفي النفاق والمداهنة بالكلية .

فمـثال الصـدق مع الإخلاص كـالشُّحْرَةِ للـذهـب ، فهو ينفـي عنه عوارض النفاق ، ويصفيـه من كدرات الأوهام ، وذلك أن صاحب الإخلاص لا يخلو من مـداهنة النفس ومـسامـحـة الهـوى . بخلاف صـاحب الصــدق ، فـإنه يذهب بالمداهنات، ويرفع المسامحات ، إذا لا يشم رائحة الصدق من داهن نفسه أو غيره مما دَقّ أو جل .

(*) قال تعـالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ [التـوبة آية : 119] .

وعلامـة الصدق : استواء [السر] [1] والعلانية ؛ فلا يبالي صاحب الصدق بكشف ما يكره إطلاع الناس عليه ، ولا يستحيي من ظهوره لغيره اكتفاء بعلم الله به . فَصِدْقُ العامة : تصفية الأعمال من طلب الأَعْرَاضِ . وصدق الخاصة : تصفية الأحوال من قصد غير الله . وصدق خاصة الخاصة : تصفية مشرب التوحيد من الالتفات إلى ما سوى الله . ويقال لصاحب المقام الأول : صادق . وللثاني والثالث صِدّيق . وأما التصديق بوجود الحق أو بوجود الخصوصية عند الأولياء وتعظيمهم لأجلها ، فهو تصديق لا صدق ، خلاف ما يعتقده بعض فقراء زماننا هذا .

ويقال لمن عظم / 7 / تصديقه : صِدّيقٌ أيضًا . فَالصِّدّيقُ يطلق على من عظم صدقه أو تصديقه .

25 ـ **الطمأنينة** (*) : وهي سكون القلب [2] إلى الله عاريا عن التقلب والاضطراب ؛ ثقة بضمانه؛ واكتفاء بعلمه ؛ أو رسوخًا في معرفته . وتكون من وراء الحجاب بتواتُرِ الأدلة واستعمال الفكرة ، أو بتوالي الطاعة ومجاهدة الرياضة، وتكون بعد زوال الحجاب بتمكن [3] النظرة ورسوخ المعرفة ، فقوم اطمأنُّوا بوجود الله من طريق البرهان أو البيان ، وقوم اطمأنُّوا بشهود الله بعد ظهوره من طريق العِيان . فالأول للعلماء ، والثاني للعباد والزهاد والصالحين، والثالث للعارفين المقربين .

---

(1) ما بين المعقوفتين سقط من : أ . الزيادة من : ب .

(*) قال تعالى : ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴾ [الفجر:آية 27] . وقوله تعالى : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الرعد:آية 29] .

قال الطوسي في كتابه اللمع : « الطمأنينة حال رفيع وهي لعبد رجح عقله وقوي إيمانه ورسخ علمه ووصفا ذكره وثبتت حقيقته » . (ص: 62) .

(2) سقط من : ب .

(3) في ب : بتمكين .

27 ـ **الشوق والاشتياق** (*) : الشوق : انزعاج [1] القلب إلى لقاء الحبيب .

والاشتياق [2]: ارتياح القلب إلى دوام الاتصال به ، فالشوق يزول برؤية الحبيب ولقائه .

والاشتياق لا يزول أبدًا لطلب الروح الزيادة في كشف الأسرار والقرب إلى الأبد ، فشوق العامة إلى زخارف جنانه ، وشوق الخاصة إلى نيل رضوانه ، وشوق خاصة الخاصة إلى حضرة عيانه .

28 ـ **الغَيْرَةُ** [3] : كراهية رؤية حبيبك عند غيرك فيهيج التنافس في حيازته .

قال الشبلي : الغيرة غيرتان : فغيرة البشرية على النفوس ، وغيره الإلهية على القلوب هـ . ومعناه : أن الطبع البشري يكره أن يرى محبوبَهُ عند غيره ، كالزوجة مثلا . والحق تعالى يكره أن يرى قلوب أوليائه متعلقة بغيره . وفي الحديث : « **لا شيء أغير من الله** » [4] . ولذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن . ا هـ . وما في الوجود إلا الغيرة الإلهية سَرَتْ في مظاهر تجليَّاته . فغيرة النفوس للعامة ؛ وهي غيرتهم على هتك حرمة حريمهم ، وغيرة القلوب للخاصة وهي غيرتهم على قلوبهم أن تميل لغير محبوبهم . وغيرة الأرواح والأسرار لخاصة الخاصة ؛ وهي غيرتهم على أرواحهم أن تلتفت إلى شيء دون محبوبهم .

(*) قال تعالى : ﴿ **مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لآتٍ** ﴾ [العنكبوت : 4] .

(1) في الرسالة القشيرية : اهتياج : (ص 329) .

(2) قال القشيري سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله تعالى يفرق بين الشوق والاشتياق فيقول : الشوق يسكن باللقاء والرؤية . والاشتياق لا يزول باللقاء وفي معناه أنشدوا:

ما يرجع الطرف عنه عند رؤيته حتى يعود إليه الطرف مشتاقا

(ص329) .

(3) عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال : « **إن الله يَغَارُ وغيرة الله أن يأتي المؤمن ما حرّم الله** » أخرجه البخاري في صحيحه كتاب النكاح ، باب الغيرة . حديث (5223).

(4) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب النكاح ، باب الغيرة .حديث (5222) (ص 1342) . من رواية أسماء رضي الله تعالى عنها .

وغيرتهم على حبيبهم [1] أن يميل إلى غيرهم ، وعلى هذا الأمر العظيم ، حق العبد أن يغار كما قال الشاعر :

إذا لم أُنَافسْ في هواكَ ولم أَغَرْ ... عَلَيْكَ ففي مَنْ ليت شعري أُنَافسُ ؟
فَلا تَمْقُتَنَّ نَفْسِي فأنتَ حَبِيبُهَا ... فكلُّ امرئ يصبْو إلى من يُجَانسُ

وقد يغارُ الحق تعالى على أوليائه فينتقم من أعدائهم إذا أذَوْهم . ومن غيرته أيضًا عليهم : ألا يظهرهم لجميع [2] الخلق فَيَضنّ بهم على خلقه ، حتى يلقوه تحت أستار الخمول وهم عرائسُ حضرته .

29 ـ الفتوة [3] : وهي الإيثار على النفس بما تحب، والإحسان / 8 / إلى الخلق بما يحب . ولذا قيل : لم تكمل الفتوة إلا لرسول الله ﷺ حيث يقول في موضع لا يذكر فيه أحدًا إلا نفسه : « أُمَّتِي أُمَّتِي » [4] . وقيل : ألا ترى لنفسك فضلا على غيرك ، والفتى من لا خصم له ، ومرجعها إلى السخاء والتواضع والشجاعة في مواطن الاضطراب ، فَفُتُوَّةُ العامة بالأموال ، وفتوة الخاصة بالنفوس، وفتوة خاصة الخاصّة بالأرواح ، وبذل المُهَج في جانب المحبوب .

30 ـ الإرادة : وهي قصد الوصول إلى المحبوب بنعت المجاهدة [5] أو التحبب إلى الله بما يرضى ، والخلوص في نصيحة الأمّة والأنس بالخلوة ، والصبر على مقاساة الأهوال ، ومنازلات الأحوال ، والإيثار لأمره ، والحياء من نظره ، وبذل المجهود في محبوبه ، والتعرض لكل سبب يوصل إليه ، وصحبة من يدلُّ عليه ، والقناعة بالخمول وعدم سكون القلب إلى شيء دون الوصول ؛ وهي أول منزلة

---

(1) في أ : الجيب . التصويب من : ب .
(2) في ب : لجملة .
(3) سئل أحمد بن حنبل ما الفتوة ؟ فقال : « ترك ما تهوى لما تخشى » . وقال الحارث المحاسبي : « الفتوة أن تنصف وتنتصف » الرسالة (ص 227) .
(4) انظر الحديث بأتمه في صحيح مسلم كتاب الإيمان ، باب دعاء النبي ﷺ لأمته وبكائه شفقة عليهم. حديث (203) (ص : 129) من رواية عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه.
(5) في أ : المشاهدة.

القاصدين ، وبدء طريق السالكين . **والمريد** : من لا إرادة له دون مولاه ، وهي ثلاث مراتب : إرادة التبرك والحرمة وهي لمن ضعفت همَّتُه أو كثرت علائقه وإرادة الوصول إلى الحضرة وهي لأهـل التجريد وقوة (1) العزم وإرادة الخلافـة ، وكمال المعرفة وهي لمن ظهرت نجابته ، وكملت أهليـته وصرح له بالخلافة من شيخ كامل وهاتف صادق .

31 ـ المجاهدة : وهي فطْمُ النَّفْسِ عن المألوفات وحملهـا على مخالفة هواها في عموم الأوقات ، وخرق عوائدها في جميع الحالات . قال بعضهم : مرجعها إلى ثلاث : ألا تأكل إلا عند الفاقة ، ولا تنم إلا عند الغلبة ، ولا تتكلم إلا عند الضرورة أ هـ .

ونهايتـها المشاهدة ،فـلا تجتمع مجـاهدة ولا مشاهدة ؛ إذ نهـاية التعب تمام السفـر ، فإذا حصل الوصـول فما بقي إلا الراحة ومـشاهدة الحبـيب ، مع حفظ الأدب ، وهي ثلاث : مـجـاهـدة الظواهر بدوام الطاعـات وكـف المنهـيـات ، ومجاهدة الـبواطن بنفي الخواطر الرديئة ، ودوام الحـضور في الحضرة القـدسية ، ومجاهدة السرائر باستدامة الشهود وعدم الالتفات إلى غير المعبود .

32 ـ الولاية : وهي حصول الأنس بعد المكابدة ،واعتناق الروح بعد المجاهدة، وحاصلها تحـقيق الفناء(2) في الذات بعد ذهـاب حسن الكائنات ، فيـفنى من لم يكن ، ويبقى من لم يزل ، فأولها التمكن من الفناء ، ونهايتها تحقيق البقاء وبقاء البقاء ، ويبقى الترقي والاتساع فيها أبدًا سَرْمَدًا [إلى ما لا نهاية له](3).

قـال إبراهيم بن أدهم لرجل (4) : « أتحب أن تكون لله وَلِيًّـا ؟ قال : نعم ،

(1) في ب : بذوقة (2) ب : الفاني .

(3) ما بين المعقوفتين سقط من : أ . الزيادة من : ب .

(4) إبراهيم بن أدهم مـن أبناء الملـوك والمياسـير. توفـي سنـة (161هـ 778 م) ترجم له في طبقات الصوفـيـة لعبـد الرحمـن السُّلمي (ص 35 - 42) ـ الرسـالة القشـيرية (ص 391، 392).

قال : لا ترغب في شيء من الدنيا والآخرة . وَفَرِّغ نفسك لله عز وجل ، وأقبل بوجهك عليه يَرْفَقْ [1] عليك ويواليك » [2] .

وقال غيره: « الولي من كان همه الله ،وشغله الله ، وفناؤه دائمًا في الله»[3] / 9 / وتطلق على ثلاث مراتب: ولاية عامة وهي لأهل الإيمان والتقوى كما في الآية : ﴿ **ألا إنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ولا هُمْ يَحْزَنُونَ . الَّذِينَ آمَنُوا وكَانُوا يَتَّقُونَ**﴾[4] وولاية خاصة وهي : لأهل الاستشراق على العلم بالله . وولاية خاصة الخاصة وهي : لأهل التمكن في معرفة الله على نعت العيان [وفي الحديث] [5] قيل: مَنْ أولياء الله يا رسول الله؟ قال: « **المتحابون في الله** »[6].

وفي رواية : « **الذين نظروا إلى باطن الدنيا حين نظر الناس إلى ظاهرها**»[7]. الحديث .

فشمل الحديث ولاية [8] الخاصة ،وخاصة الخاصة [والله تعالى أعلم] [9].

33 ـ الحرية : وهي تصفية الباطن من [حُبِّ] [10] غير الحق حتى لا يبقى فيه بقية لغير الله ، وهي الحرية الكسبية ، وهي سبب الظفر بالحرية الوهبية [11] .

وهي غيبة العبد في مظهر الرب ، فتنتفي ظلمة الحدوث في نور القِدَمِ ، وتختفي قوالبُ العبودية في تَجَلّي مظاهر الرُّبُوبيةِ ، فيبقى الحق بلا خلق. فحينئذ

---

(1) في الرسالة القشيرية : ليقبل (ص 261) .
(2) انظر هذا الكلام في الرسالة القشيرية (ص 261) .
(3) الوارد في الرسالة وقيل : علامة الولي ثلاثة : شغله بالله تعالى وفراره إلى الله تعالى وهمه الله عز وجل . الرسالة القشيرية (ص 263) .
(4) سورة يونس آية : 62.
(5) ما بين المعقوفتين سقط من : ب .
(6) انظر الحديث بلفظ آخر في مجمع الزوائد للهيثمي : (10/ 77) .
(7) انظر الحديث في كتاب الزهد لابن أبي عاصم (ص :60) .
(8) سقط من : ب .
(9) ما بين المعقوفتين سقط من : ب . ومثبت في : أ .
(10) ما بين المعقوفتين سقط من : أ . الزيادة من : ب .
(11) أ: الإلهية . التصويب من : ب .

يكتب للعبد عقد الحرية ، فتكون عبادته [وعبوديته] (1) شكرًا لا قهرًا كما قال سيد العارفين ﷺ : « **أفلا أكون عبداً شكوراً** » (2).

وقال إمام هذه الطريقة (3) الجنيد : « عبادة العارف تاج على الرؤوس » يعني كَمَالُ الْكَمَالِ .

34 ـ الْعُبُودِيَّةُ (4) : « هي القيام بآداب الربوبية مع شهود ضُعْفِ البشرية » . وقال بعضهم : « هي القيام بحق الطاعات ، بشرط التوقير والنظر إلى مَا مِنْكَ بِعَيْنِ التقصير . أو تركُ الاختيار فيما يبدو من الأقدار ، والتبري من الحول والقوة، والإقرار بما يوليك ويعطيك « من المنة » (5) [وعلامتها ترك التدبير بشهود التقدير] (6) . وأجمع العبارات فيها ما قال ابن عطاء (7) : « حفظ الحدود ، والوفاء (8) بالعهود ، والرضا بالموجود ، والصبر على المفقود ».

قلت : وأحسن ما قيل (9) في تفسير العبودية : أن تقدر أنَّ لك عبدًا اشتريته بمالك ، فكما تحب أن يكون عبدك معك ، فكن أنت مع مولاك . فالعبد لا يملك مع سيده شيئًا من نفسه ولا ماله ، ولا يمكنه مع قهرية سيده تدبير ولا اختيار ، ولا يتزين إلا بِزيّ العبيد أهل الخدمة ، ويكون عند أمر سيده ونَهيهِ ، وإذا كان

---

(1) ما بين المعقوفتين سقط من : ب . ومثبت في : أ .

(2) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير ، باب : ﴿ **لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ** ﴾ [الفتح آية : 2] حديث (4836) (ص1229) من راوية المغيرة بلفظ : قام النبي ﷺ حتى تورّمتْ قدماه ، فقيل له: غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال: « **أفلا أكون عبداً شكُوراً** » .

(3) في ب : الطائفة .

(4) قال تعالى : ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [سورة الحجر آية : 99] .

(5) انظر هذا التعريف حرفيًا في الرسالة القشيرية (ص : 198) .

(6) ما بين المعقوفتين سقط من : ب ومثبت في : أ .

(7) هو أحمد بن عطاء الروذباري . توفي سنة (369 هـ / 979م) . الرسالة القشيرية (ص 415) .

(8) انظر قول ابن عطاء الروذباري في الرسالة القشيرية (ص : 199) .

(9) سقط من : ب .

حاذقًا فَاهِمًا عمل [1] مَا يُرضِي سَيِّدَهُ قبل أن يأمره ، ويفهم عن سيده بأدنى إشارة إلى غير ذلك من الآداب المرضية في العبيد المؤدّبين . وقال أبو علي الدقاق [2] ﷺ : « العبودية أتمُّ من العبادة » . فأول المراتب عبادة ، ثم عبودية، ثم عُبُودَةٌ .فالعبادة للعوام [3] ، والعبودية للخواص ، والعُبُودَةُ لخواص الخواص[4] . ا هـ .

قلت : والعُبُودَةُ هي الحرية الوهبية. . . والله تعالى أعلم .

35 ـ القناعة : « الاكتفاءُ بالقسمةِ ، وَعَدَمُ التَشَوُّفِ للزيادة ، والاستغناءُ بالموجودِ ، وتركُ التَّشوُّف إلى المَفْقُود » [5] وهي الحياة الطيبة / 10 / والرزق الحسن في قوله تعالى: ﴿**لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا**﴾ [6] على قول:أي والذين هاجروا في سبيل الله، ثم قتل بعضهم ، أو مات ليرزقن الله من بقي منهم رزقًا حسنًا ، وهو من ثمرة الغنا بالله.

قال وهب بن منبه[7] : إن العزَّ والغنا خرجا يجولان فَلَقِيَا القناعة فاستقرا فيها ، وَمَرْجِعُهَا إلى سَدّ باب الطمع ، وفتح باب الورع ، وهي مطلوبة في أمور الدنيا فقط. وأما في أمور الآخرة ، أو في زيادة العلم والترقي في المعرفة فمذمومة .ولذلك قيل : القناعةُ مِنَ الله حِرْمَانٌ .ا هـ .

36 ـ العافية : وهي سكونُ القَلْبِ وَخُلُوّهِ من الانزعاج والاضطراب والتقلب .

---

(1) في ب : كل .
(2) أبو علي الدقاق الحسن بن علي النيسابوري . شيخ الصوفية . شافعي المذهب . توفي سنة (406 هـ) . ترجم له في شذرات الذهب : (180/3) ـ جامع كرامات الأولياء: (466/1 - 467) .
(3) في ب : العوالم .
(4) انظر قول أبو علي الدقاق في الرسالة القشيرية (ص 197).
(5) قائل هذا الكلام أبي عبد الله بن خفيف المتوفى سنة (371هـ / 982م). ترجم له في الرسالة القشيرية (ص:420) . انظر تعريفه بلفظ : « القناعة ترك التشوف إلى المفقود والاستغناء بالموجود » الرسالة القشيرية (ص : 160) .
(6) سورة الحج آية : 58 .
(7) وهب بن منبه بن كامل اليماني أبو عبد الله الأَبْنَاوِي : تابعي ثقة كان واليا على قضاء صنعاء. توفي سنة عشر ومائة. وقيل: سنة أربع عشرة ومائة. ترجم له في تاريخ الثقات للعجلي (ص:467) ـ صفة الصفوة:(2 /174 - 177) ـ تهذيب التهذيب (11 / 166).

ثم إن كان بالسكون إلى الله والرضا عنه فهي العافية الكاملة ، وإن كان بجريَانِ الأسْبَابِ الْمُوافَقَة فهي العافية العادية وفي الحديث : « **ما أُعْطِي أَحَدٌ بَعْدَ اليقين خَيْرًا مِنَ الْعَافِيَة** »[1] فعافية العَامَّة : سكونُهُم إلى الأسباب .

فإذا انْخَرَمَتْ اضْطَرَبَتْ قُلوبُهُمْ ، وتزلزت بخرابهَا . من نور اليقين ، وعافية الخاصة سكونهم إلى مسبب الأسباب . فعافيتهم دائمة وربما يزيد يقينهم إذا انخرمت الأسباب كما قال بعضهم : « نحن كالنجوم كلما اشتدت الظلمة قوي نُورُنَا » .

وقال ذو النون[2] ﷺ : « لو كانت السماء من زُجَاج، والأرضُ من نُحَاس، وَمِصْرُ كُلّهُا عِيَالِي ما اهتممت لهم برزق » اهـ .

وعافية خَاصَّةِ الْخَاصَّةِ سُكُونُهُمْ إلى شُهودِ الحقّ غائبين عن الأسباب وعدمها غرقى في بحر التوحيد ، وأسرار التفريد ، لا تنزل الهموم بساحتهم ولا تكدر صفاء مشربهم . جعلنا الله منهم . . . آمين .

37 ـ **اليقين** : وهو سكون القلب إلى الله بعلم لا يتغير ولا يتحول ، ولا يتقلب ولا يزول عند هيجان المحركات ، أو ارتفاع الريب في مشاهدة الغيب. وعلامته ثلاث :

رفع الهمة عن الخلق عند الحاجة وترك المدح لهم في العطية والتنزه عن ذمهم عند الْمَنَعَة ، فيقين العامّة بتوحيد أفعاله ، فسكنوا إليه في المنع والعطاء ويقين الخاصة بتوحيد صفاته ، فرأوا الخلق موتى ليس بيدهم حركة ولا سكون ، ويقين خاصة الخاصة بتوحيد ذاته فشهدوه في كل شيء ، وعرفوه عند كل شيء ، ولم

---

(1) أخرجه الترمذي في سننه كتاب الدعوات (105) ، باب من أبواب الدعوات. حديث (3569) (327/5) من رواية معاذ بن رفاعة عن أبيه بلفظ : « **سَلُوا الله العَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فإن أحداً لم يُعْط بعد اليقين خيراً من العافية** » قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه عن أبي بكر وقد تفرد به الترمذي من بين الكتب الستة .

(2) ذو النون بن إبراهيم المصري أبو الفيض. توفى سنة (245 هـ / 859 م) . ترجم له في طبقات الصوفية للسلمي (ص27 - 34) الرسالة القشيرية (ص: 433) .

يشهدوا معه شيئًا .

38 - 39 - 40 ـ علم اليقين ، وعين اليقين وحق اليقين : **علم اليقين** ما كان ناشئًا عن البرهان ، **وعين اليقين** ما نشأ عن الكشف ، **وحق اليقين** ما نشأ عن الشهود والعيان ، فعلم اليقين لأرباب العقول من أهل الإيمان ، وعين اليقين لأرباب الوجدان من أهل الاستشراف على العيان ، وحق اليقين لأهل الرسوخ والتمكين في مقام الإحسان . **ومثال من ذلك** : كمن سمع بمكة مثلا ولم يرها / 11 / فعنده علم اليقين بوجودها ، فإذا استشرف عليها ورآها ولم يدخلها فعنده عين اليقين ، فإذا [دخلها] [1] وعرف طرقها وأماكنها ، فهذا عنده حق اليقين ، وكذلك الناسُ في معرفة الحق تعالى [متفاوتون] [2] ، فأهل الحجاب استدلوا حتى حصل لهم العلم اليقيني بوجود الحق ، وأهل السير من المريدين المستشرفين على الفناء [3] في [4] الذات حصل لهم عين اليقين حين أشرقت عليهم أنوار المعاني ، وغابت عليهم ظِلالُ الأواني ، غير أنَّهُمْ باقون في دهشة الفناء ، لم يتمكنوا من دوام شهود الحق ، فإذا تمكنوا من دوام شهوده ورسخت أقدامهم في معرفته حصل لهم حق اليقين ، وهذه نهاية النعمة وغاية السعادة . جعلنا الله منهم بمنه وكرمه .

41 ـ النعمة : هي ملازمة الأفراح ومباعدة الأتراح [5] وإصابة الأغراض ونزاهة الأعراض ، وهي على قسمين : نعمة ظاهرة كالصحة والعافية والكفاية من الحلال، ونعمة باطنةٌ كالإيمان والهداية والمعرفة ، والنَّاسُ في النعمة الظاهرة على ثلاثة أقسام :

قوم فرحُوا بالنعمة لِمَا لهمْ فيها من المُتْعَةِ فَحُجِبُوا بِهَا عن المُنعم ، وقوم

---

(1) ما بين المعقوفتين في أ : عرفها ، التصويب من : ب .

(2) ما بين المعقوفتين سقط من : أ . الزيادة من : ب .

(3) سقط من : ب .

(4) في ب : على .

(5) في ب : الارتياح . والصواب هو الأتراح كما في : أ . والتَرح ضِدُّ الفَرَح .

فرحوا بالنعمة لإقبال المتع عليهم حيث ذكروهم بها ، وقوم فرحوا بالمنعم دون شيء سواه .

قال الله تعالى : ﴿ **قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ**﴾ [1] . فشكر الأولين يزول بزوالها ، وشكر الثالث دائم في السراء والضراء ، وهذا هو شكر الخواص .

42 ـ **الفِرَاسَةُ** : وهي خاطر يهجم على القلب أو وارد يتجلى فيه لا يخطي غالبًا إذا صفا القلب. وفي الحديث: « **اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله** » [2]. وهي على حسب قوة القرب والمعرفة ، فكلما قوي القُرْبَ وتمكنت المعرفة صدقت الفراسة ؛لأن الروح إذا قربت من حضرة الحق لا يتجلى فيها غالبًا إلا الحق ، وهي ثلاث مراتب [3]: فراسة العامة وهي كشف ما في ضمائر [4] الناس وما غاب من أحوالهم وهي فتنة في حق من لم يتخلق بأخلاق الرحمن ، وفراسة الخاصة وهي كشف أسرار المقامات والمنازلات والاطلاع على أنوار الملكوت ، وفراسة خاصة الخاصة وهي كشف أسرار الذات وأنوار الصفات ، والفرق في بحر أسرار الجبروت . وقال الكتاني [5] : « هي مكاشفة الحق ومعاينة الغيب » . وقال الواسطي [6] :« هي سواطع أنوار الذات وتمكين جملة السرائر في الغيوب، من

---

(1) سورة الأنعام آية : 91 .

(2) أخرجه الترمذي في سننه كتساب التفسير، باب ومن سورة الحجر. حديث (3138) 5 / 88 قال الترمذي : هذا حديث غريب إنما نعرفه من هذا الوجه . من رواية أبي سعيد الخدري من طريق عطية العوفي قال عنه ابن حجر في كتابه تقريب التهذيب : « صدوق يُخطئ كثيرًا كان شيعيًا مُدَلِّسًا . (1 / 678) رقم 4631. وأخرجه الطبراني من رواية أبي أمامة بسند حسن في معجمه الأوسط. حديث (3254) 3 / 312.

(3) سقط من : ب . (4) ب : ضمير .

(5) هو أبو بكر محمد بن علي بن جعفر الكتاني أصله من بغداد ، صحب الجنيد ، مات سنة (322 هـ / 934 م) . ترجم له في طبقات الصوفية ص (282 - 286) ، الرسالة القشيرية ص (ص: 427) .

(6) هو أبو بكر محمد بن موسى الواسطي . أصله من فرغانة ، صحب الجنيد والنوري . توفي سنة (331 هـ / 942 م) . ترجم له في طبقات الصوفية ص (232 - 235) ، الرسالة القشيرية ص (439 - 440) .

غيب إلى غيب حتى يشهد الأنبياء من حيث أشهده الحق إيّاها فيتكلم على ضمائر الخلق اهـ . **قلت** : قوله فيتكلم إلخ : ليس بشرط في فراسة الخاصة والله تعالى أعلم .

43 ـ الخُلُـقُ : وهي ملكة تصدر عنه الأفعال عنه بسهولة ثم إن كانت الأفعال حسنة كالحلم ، والعفو ، والجود ونحوها سُمِّيَ خُلُقًا حسنًا ، وإن كانت / 12 / سيئة كالغضب والعجلة والبخل سُمِّيَ خلقًا سيِّئًا .

قال وهب : مَا تَخَلَّقَ عبد بخلق أربعين صباحًا ، إلا جَعَلَ الله له ذلك طبيعة فيه ، فالخُلُقُ الحسن يُكْتَسَبُ ، والسيِّءُ يُجَاهد حتى يزول . والخُلُقُ الحسنُ يعدل الصيام والقيام ، وهو ثَمرة التصوُّف ، فمن لم يحسن خُلقه فَتَصوفُّهُ أشجارٌ بلا ثمار ، ومرجع حسن الخُلق : ألا تَغْضَبْ ، وَلَا تُغْضِبْ ، ولا تَبْخَلْ ولا تحقد . وبالله التوفيق .

44 - 45 - 46 ـ الجودُ والسخاءُ والإيثار : (فالجودُ أن لا يصعب عليه البذل)[1] . فمن أعطى البعض وأبقى الأكثر فصاحب سخاء ، ومن بذل الأكثر فصاحب جود، ومن قاسى الضراء وآثر غيره فصاحب إيثار ، فجود العامة بالأموال ، وجود الخاصة بالنفوس ، وجود خاصة الخاصة بالأرواح ؛ يبذلونها للموت بالمجاهدة ، ثم تحيا الحياة الأبدية بالمشاهدة [2] .

47 ـ الفقر : وهو نفض اليد من الدنيا ، وصيانة القلب من إظهار الشكوى . (ونعت الفقير الصادق ثلاثة أشياء: صيانةُ فقرِه ، وَحِفْظُ سِرّه ، وإقامةُ دينه) [3] .

وقال جعفر الْخُلْدي : خدمتُ ست مائة شيخ ، فما وجدت من شَفَا قَلْبِي مِنْ أَرْبَعِ مَسَائِلَ حتى رأيتُ رسول الله ﷺ في النوم ، فقال لي : اسأل عن مسائلك ؟ فقلت : يا رسول الله ما العقلُ ؟

---

(1) ما بين علامة التعريف مقتبس من الرسالة القشيرية (ص247) .

(2) عن الجود والسخاء انظر: الرسالة القشيرية (ص 247 - 254).

(3) ما بين علامة التعريف مقتبس من الرسالة القشيرية (ص 273) وفيه مكان : « وإقامةُ دينه» «وأداء فرضه » .

فقال : « أدناه ترك الدنيا ، وأعلاه ترك التفكر في ذات الله ».

فقلت : وما التوحيد ؟

فقال : « كل ما أتى به الوهم أو جلاه الفهم ، فربنا عز وجل مخالف لذلك».

فقلت : وما التصوف ؟

فقال : « ترك الدعاوي ، وكتمان المعاني ».

فقلت : وما الفقر ؟

فقال : « هُو سرٌّ من أسرار الله يُودِعُهُ فيمن يشاء من عباده ، فمن كَتَمَهُ فهو من أهله ، وزاده الله منه ومن باح به نفاه الله عنه » ا هـ .

قلت : جَوَابُ كل إنسانٍ على قدر مَقَامِهِ كما قال عليه السلام : « **خَاطِبوا النَّاسَ بِقَدْرِ مَا يفهمون** » [1] .

فقوله عليه السلام في العقل : أعلاه ترك التفكر في ذات الله .

أما التفكر في كُنْهِ الرُّبُوبِيَّةِ منهي عنه ؛ إذ لا يُدْرَكُ . وأما التفكر في أسرار الرّبوبية وأنوار صفاتها ، فلا عبادة أعظم منها .

وقوله أيضًا [عليه السلام] [2] في التوحيد [3] : « كل ما أتى به

(1) الحديث ورد بلفظ : « **أُمِرْتُ أن أخاطب النَّاسَ على قدر عقولهم** » قال ابن حجر : سنده ضعيف جدًا لا موضوع . انظر : فيض القدير لعبد الرؤوف المناوي (3 / 378) المكتبة التجارية مصر ط 1 السنة (1356 هـ) . وفي كتاب المغني عن حمل الأسفل للعلامة زين الدين العراقي أنه قال : حديث : « **كلموا الناس بما يعرفونه ودعوا ما ينكرون ...**» رواه البخاري موقوفًا على علي ، ورفعه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من طريق أبي نعيم . كتاب المغني في تخريج ما في الإحياء : (1 / 39) .

(2) ما بين المعقوفتين سقط من : ب .

(3) عن صفة التوحيد انظر كتاب : اللُّمَع في تاريخ التصوف الإسلامي لأبي نصر عبد الله السراج الطوسي (ص29 - 34) والتعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي ص (153، 154) والرسالة القشيرية (ص 298 - 303) .

الوهم . . إلخ) ». الوهم لا يدرك إلا حسّ الكائنات . فهو قصير ، والفهم بلا ذوق ، لا يدرك أسرار التوحيد لأنها خارجة عن الوهم ودرك العقل ، فظهر معنى قوله عليه السلام : كل ما أتى به الوهم . . . إلخ ، وقوله عليه السلام في شأن الفقر : من كَتَمَهُ فهو من أهله ، أي يكون من السابقين : ويزيده تعالى من أسراره وأنواره ، وهي حلاوة المعاملة والمعرفة .

يحكى : عن أبي علي الدقاق أنه جلس يومًا مع بعض أصحابه ، فكانت منه غفلة حتى شكى ضيق حاله ، فلما تفرق أصحابه ، نام بعضهم ، فهتف به هاتف وقال : بالله أبلغ أبا عبد الله الدقاق / 13 / ما أقول لكم . ثم أنشد :

قل هو ويحمل من ذوي الأقدار	الفقرُ أفضلُ شيمة الأحْرَار
يا من شكا للخلق فِعْلَة ربِّه	هلا شكَوْتَ تَحَمُّلَ الأوْزَار
إنَّ الَّذي أُلبسْتَ مِنْ حُلَلِ التَمَنِّي	لَوْ شَاءَ ربُّكَ كُنْتَ عَنْهُ عَارِ

48 ـ **الذكر** : وهو إذا أُطْلِقَ يَنْصَرِفُ لِذِكْرِ اللِّسَانِ ، وهو ركن قوي في طريق الوصول ، « وهو منشور الولاية ، فمن ألهم الذكر فقد أعطى المنشور ، ومن سلب الذكر فقد عزل »[1] ، فذكر العامة باللسان ، وذكر الخاصة بالجنان ، وذكر خاصة الخاصة بالروح والسر ، وهو الشهود والعيان، فيذكر الله عند ذكر[2] كل شيء ، وعلى كل شيء ، أي يعرف الله فيه ،وهنا يخرس اللسان ويبقى كالمبهوت في محل العيان . ويعد ذكر اللسان في هذا المقام ضعفًا وبطالة كما قال القائل :

مَا إِنْ ذَكَرْتُكَ إلاَّ هَمَّ يَلْعَنُنِي[3]	سرِّي وَقَلْبِي وَرُوحِي عِنْدَ ذِكْرَاكَ
حتى كأن رقيبًا مِنْكَ يهتف بي	إِيَّاكَ وَيْحَكَ وَالتِّذْكَارُ أَيَّاكَ

---

(1) ما بين مزدوجتين ورد في الرسالة القشيرية على لسان أبي علي الدقاق وفيه مكان « فمن ألهم » قوله : « فمن وُفِّقَ » (ص: 221) .

(2) سقط من : ب .

(3) في الرسالة القشيرية : يَزْجُرُنِي . (ص: 223) .

أمَا ترى الحقَّ قد لاحـت شواهدُهُ ووَاصِلِ الكُلَّ مِـنْ مَعْنَاهُ مَعْنَـاكَ[1]

وقال الواسطي : مشيرًا لهذا المقام : الذاكرون في ذكره أشدُّ غفلة من الناسين[2] لذكره ؛ لأن ذكره سواه. ا . هـ .

49 ـ الوقت : قد يطلقونه على ما يكون العبد عليه في الحال من قبض أو بسط أو حزن أو سرور .

وقال أبو علي الدقاق : « الوقت ما أنت به الحـال ، فإن كنت بالدنيا فوقتك الدنيا ، وإن كنت بالعقبى فوقتك العقبى » [3] يريد أن الوقت ما كان الغالب على الإنسان ، وقد يعنون به الزمان الذي بين الماضي والمستقبل .

يقـولون : (الصُّوفي ابن وقـته) يريدون : أنه مـشتـغل بما هو أولى به في الوقت[4] . لا يُدَبِّرُ في مستقبل ولا ماضٍ ، بل يهمه ما هو فيه ، وكل وقت له آداب يطلب فيه ، فـمن أَخَلَّ بأدبه مقته وقته ؛ ولذلك قـيل : « الوقت كالسيف فمن لا يَنَهُ سَلِم ، ومن خاشنه قُصِمَ »[5]. وملاينته القيام بأدبه ، فوقت القهرية آدابه الرِّضَا والتـسليم تحت مجاري الأقدار ، ووقت النعـمة آدابه الشكر ، ووقت الطاعة آدابه شهود المنة من الله ، ووقت المعصية آدابه التوبة والإنابة .

50 ـ الحـالُ والمقـامُ : « الحالُ : مَـعْنىً يرد على القلب من غـير تَعَـمُّدٍ ولا اجتلاب، ولا تسـبب ولا اكتساب ، من بسط أو قـبض أو شوق أو انزعاج ، أو هيبة أو اهتياج » [6] . ويظهر أثره على الجوارح قبل التمكين ، من شطح ورقص وَسَيْرٍ وَهُيَامٍ ؛ وهو أَثَرُ المحبة لأنها تحرك الساكن أولا ، ثم تسكن وتطمئن ؛ ولذا

---

(1) هذا البيت وحده لم يرد في لرسالة بينما البيتين الأولين وردا في الرسالة القشيرية (ص: 223).

(2) ب : الناس .

(3) ما بين المزدوجتين ورد في الرسالة (ص: 55) .

(4) الرسالة : (ص: 55) .

(5) في الرسالة : اصطلم أي استؤصل .

(6) ما بين المزدوجتين ورد في الرسالة (ص : 57) .

قيل فيها : أَوَّلُهَا جنون ، ووسطها فنون ، وآخرها سكون . وقد يكتسب الحال بنوع، كحضور حِلَقِ الذكر واستعمال السماع . وقد يطلب / 14 / اكتسابه بخَرْق عوائد النفس حين يعتريها برودة وفتور [وفرق [1]] وحزن [2] وكسل ، فينبغي أن يتحرك في تسخينها بما يثقل عليها من خَرْقِ العَوَائِدِ ، وقد يطلق الحال على المقام فيقال : فلان صار عنده الشهود مثلا حالا .

ومنه قول المجذوب :

حققتُ ما وجدت غيره　　　وأمْسَيتُ في الحال هَانِ

51 ـ **وأما المقام** : فهو ما يتحققه [3] العبد بمنازلة واجتهاد من الأدب [4] ، وما يتمكن فيه من مقامات اليقين بتكسُّب وتطلُّب . فمقام كل أحد موضعُ إقَامتَه. فالمقامات تكون أولا أحوالا حيث لم يتمكن المريد منها ؛ لأنها تتحول ثم تصير مقامات بعد التمكين كالتوبة مثلا تَحْصُلُ ثم تنقصُ حتى تصير مقامًا وهي التوبة النصوح. وهكذا بقية المقامات وشرطه ألا يرتقي مقاما حتى يستوفَي أحكامه . فمن لا توبة له ، لا تَصحٌ له إنابة ، ومن لا إنابة لَهُ ، لا تَصِح له استقامة ، ومن لا ورع له لا يصح له زُهْدٌ ، وهكذا . وقد يتحقق المقام الأول بالثاني إذا تَرَقَّى عنه قبل إحكامه ، إن كان له شيخ كامل ، وقد يطوي عنه المقامات ويُدسُّه إلى الفناء إن رآه أهلا بِتَوَقُّدِ قسريحته ورقّة فِطنته . فالأحوال مواهب ، والمقامات مكاسب ، هذا معنى المقام بفتح الميم. وأما [المُقام] [5] بالضم فمعناه: الإقامة ولا يكمل لأحدٍ منازلة مقام إلا بشهود إقامة الحق تعالى فيه .

وفي الحِكَم : من علامة النجح في النهاية [6] الرجوع إلى الله في البداية[7].

---

(1) ما بين المعقوفتين زيادة من : ب .　　(2) سقط من : ب .

(3) في الرسالة القشيرية : يتحقق به . (ص: 56) .

(4) راجع هذا التعريف في الرسالة القشيرية (ص :56) .

(5) ما بين المعقوفتين سقط من : أ . الزيادة من : ب .

(6) في ب : النهايات .　　(7) في ب : البدايات .

وقال أيضًا : « من كانت بالله بدايته كانت إليه نهايته » [1].

القبض والبسط [2] : وهما حالتان بعد الترقي من حال الخوف والرجاء . فالقبض للعارف بمنزلة الخوف للطَّالب ، والبسط للعارف بمنزلة الرجاء للمريد .

والفرق بين الخوف والقبض - وبين الرّجاء والبسط ، أنَّ الخوف متعلقه مستقبل : إما فوات محبوب ، أو هجوم محذور . بخلاف القبض فإنه معنى يحصلُ في القلب : إمَّا بسبب أولا ، وكذلك الرّجاء يكون لانتظار محبوب في المستقبل ، والبسط شيء موهوب يحصل في الوقت . فحقيقة القبض انكماش وضيق يحصل في القلب ، يوجب السكون والهدوء . والبسط انطلاق وانشراح للقلب، يوجب التحرك والانبساط ، ولكل واحد آداب مذكورة في المُطَوَّلاَت[3].

54 - 55 - **الخواطر والواردات** : الخواطر :خطابات تَرِدُ على القلوب [4] تكون بإلقاء ملك أو شيطان أو حديث نفس ،فإذا كان من المَلَك فإلهامٌ ، أو من الشيطان فوسواس، أو من النفس فهواجس ، فما وافق الحقَّ ودعا إلى اتّبَاعِه فمن المَلَك ، وما وافق الباطل أو دعا إلى معصية غالبًا فَمنَ الشيطان . وقد يدعو إلى الطاعة حيث يترتب عنها [5] معصية ، كالرياء وحب المدح ، وما دعا إلى اتباع الشهوة والدَّعة[6] أي الرّاحة فمن / 15 / النفس [7].

قال أبو علي الدقاق : « من أكل الحرام لم يُفرِّقْ بين [8] الإلهام والوسواس، وكذلك من كان قُوتُهُ معلوما » ا. هـ .

---

(1) الحكم العطائية لابن عطاء الله السكندري (ص : 153) .
(2) قال تعالى : ﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة آية : 245] .
(3) راجع هذا التعريف في الرسالة القشيرية (ص : 58) .
(4) في الرسالة : الضمائر (ص: 83) .
(5) في ب : عليها . (6) في ب : الردعة .
(7) انظر تعريف الخواطر في الرسالة (ص : 83 ، 84) .
(8) الوارد عند أبي علي الدقاق : « من كان قوته معلوما لم يفرق بين الإلهام والوسوسة ، وإن من سكنت عنه هواجس نفسه بصدق مجاهدته نطق بيان قلبه بحكم مكابدته ». الرسالة (ص:84) .

وفرق الجنيد بين هواجس النفس ووسواس الشيطان، بأن ما دعت إليه النفس لا تنتقل عنه بل تعاود مـرّة بعد مرّة ، إلا بعد مجاهدة كثيرة ،ووسواس الشيطان ينتقل عنها . فإذا خالفته في معصية انتقل لأخرى ، وَرُبَّمَا ذهب بالتعوذ ونحوه ؛ ولذلك كانت النفس أخبث من سبعين شيطانا .

56 ـ **وأما الواردات** : فهو ما يرد على القلوب من التجليات القوية ، والخواطر المحـمودة بما لا يكون للعـبد فـيـه تكسب ، والفرق بين الخـواطر والواردات، أن الواردات أعمُّ من الخـواطر ؛ لأن الخـواطر تختـص بنوع خطاب أو ما يـتضـمن معناه، والواردات تكون وارد سرور ، ووارد حزن ، ووارد قبض ، ووارد بسط ، ووارد شوق ، ووارد خوف ، إلى غـير ذلك من المعاني [1] . وقد يخـتطفه عن شاهد حِسِّه وهو قريب من الحال ، وقـد يأتي الوارد بكشف غيب فيجب تصديقه إن صفا القلبُ من كدرات الخواطر والله تعالى أعلم .

النـفس والروح والســـرُّ : النفس عند القوم عـبارة عَمَّـا يُذَمُّ من أفعال العـبد وأخلاقه. فالأول ما كان من كسب العبد كَمَعَاصِيهِ وَمُخَالَفته .

والثاني مـا كان من جـبلّته [2] وطبيعـته ، كالكبْر والحسـد والغضب، وسوء الخلق وَقِلَّةِ الاحتمـال ،وغير ذَلك من الأخلاق الذميـمة ، يُنْسَبُ للنفس أدبا مع الحق ، والروح عبـارة عن محل التجليـات الإلهية ، وكـشف الأنوار الملكوتية . والسر عـبارة عن محل تَجَلِّيَـاتِ الأسرار الجبـروتية ، فالـنفس للعوام ، والروح للخواص . والسـر لخواص الخواص ، [3] والنفس لأهل عـالم المُلك ، والروح لأهل عالم الملكوت ، والسِّرُّ لأهل عالم الجـبروت ، وستـأتي حقائقـها ، وهل النفس والروح [والسرُّ] [4] متعدادت في نفسها أو متحدة ، وإنما تختلف التسمية باختلاف التصفـية . قال بعضهم :« النفس [5] لطيفة مـودَعة في هذا القالَب هي

(1) انظرالتعريف في الرسالة (ص : 85) .
(2) جبلة : الخلقة والطبيعة . لسان العرب لابن منظور مادة : « جبل » (11 / 98) .
(3) إسقاط الواو من : أ . الإثبات من : ت .
(4) ما بين المعقوفتين سقط من : أ . الزيادة من : ب لإتمام السياق .
(5) في الرسالة : الروح .

مَحَلٌّ الأخـلاق المعْلُولة ، كما أن الرّوح لطيـفة مودعة في هذا القـالب هي محل الأخلاق المحمـودة ، ومحلها واحد وهو الإنسان ، فـالنفس والروح من الأجساد اللطيفة ، كالملائـكة والشياطين وهما ساكنان في الإنسان ، فكمـا أن البصر محلٌّ الرؤية ، والأذُن محل السمع ، والأنف مـحل الشم من ذات واحدة فكذلك محل الأوصاف الذميمة النفس ، ومحل الأوصاف الحميدة الروح [1] .

وأما السِّرُّ فـهو لطيفة مودعـة في القلب [كالروح] [2] إلا أنه أشـرف من الروح لكمال أوصافه [3] » .

وقال الساحلي : النفس والقلب والروح والسر والباطن أسماء لمسمى واحد ، وهو اللطيـفة الربانيـة /16/ التي كان الإنسـان بها إنسانًا . وتختلف أسـماؤها باختلاف أوصافها ، فإن مالت لجهة النفس سميت نفسا ، وإن تخلصت من مقام الإسلام إلى مـقام الإيمان سميت قلبًـا ، وإن تخلصت منه إلى مقام الإحسـان . ولكن بقي فيها أثر النقص كأثر الجراحـات بعد البُرْءِ ، سميت روحًا ، وإن ذهبت تلك الأثر وَصَفَتْ سُمِّيَتْ سِرًّا [4] ، وإن أشكل الأمر سميت بالباطن . ا . هـ . والاختلاف في الروح شهير . قال بعضهم : [هي الحياة] [5] ، وقال بعضهم : أعيـان [6] مودعة في هذه القـوالب أجرى الله العادة بخلق الحيـاة في القالب ما دامت الحياة فيه ، فالإنسان حي [7] بالحياة ، ولكن الأرواح مـودعة في القوالب [8] ولها تَرَقٍّ في حال النوم ، ومفارقة ورجوع [9] . [وهي التي وقع بها النفخ ،

---

(1) انظر هذا التعريف في الرسالة (ص:87) مع تصرف بسيط الرسالة .

(2) ما بين معقوفتين سقط من : أ . الزيادة من : ب .

(3) في أ : صفاته ، التصويب من : ب .

(4) في أ : بالسر ، والصواب ما أثبتناه من :ب .

(5) ما بين المعـقوفـتين سقـط مـن : ب ، وثابـت في أ ، وفـي الرسـالة « إنها الحـياة » (ص:88).

(6) في ب : [هي أعيان] ، وفي الرسالة : [إنها أعيان] (ص:88).

(7) في أ وب : حق . التصويب من الرسالة (ص:88).

(8) في الرسالة : القالب .

(9) انظر التعريف في الرسالة (ص :88).

وأما النفس فهي مخلوقة في الجنين قبل نفخ الروح بها يقع التحرك ، وهي ملازمة للبدن لا تفارقه إلا بالموت ، فتخرج الروح أولا ثم تنقطع النفس ، فتنقطع الحياة][1] ، فالإنسان روح [ونفس] [2] وجسد ، والحشر للجملة ، وكذلك العقاب والثواب والأرواح مخلوقة قبل الأبدان سارية فيها سريان النار في الفحم، والماء في العود الأرطب. ا . هـ .

قلت : هذه الأعيان المودعة في القوالب هي اللطيفة الربانية[3] اللاهوتية ، وهي التي تتطور وتختلف أسماؤها باختلاف تطورها كما قال الساحلي والله أعلم. وكون الأرواح حادثة يجري على مذهب أهلِ الْفَرْقِ ، وأما أهل الجمع فلا حادث عندهم لفناء الكائنات عن نَظرِهم .

قال الجُنَيْدُ إذا أُقْرِنَ الحادث بالقديم ، تلاشى الحديث وبقي القديم . وسألت بعض إخْوَانِنَا [4] العارفين هل الأرواح حديثة أو قديمة ؟ فقال : الرجال الأشباح عندهم قديمة . ا . هـ . يُشِيرُ إلى مقام الفناء كما تقدّم لكنه سِرٌّ مكتوم .

60 - 61 - 62 ـ النَّصْرُ وَالتَّأييدُ والعِصْمَةُ :

النصر : تقوية الجوارح على فعل الخير .

والتأييد : تقوية البصيرة من داخل . فالباعث الباطني تأييد ، والبطش ومساعدة الأسباب [5] من خارج نصر ، وهو جامع للهداية التي مرجعها للبصيرة العلمية الكاشفة لِما عليه الشيء بحقيقته ، والرُّشد الذي مرجعه إلى الإرادة الباعثة إلى جهة المساعدة والتَّسْديد الذي مرجعه إلى القدرة على توجيه الحركات إلى صوب المطلوب وتيسيرها عليه ، ويقرب من التأييد الجامع لما ذكِر العصمة وهي عبارة عن وجود إلهي يسبَحَ في الباطن يقوى به الإنسان على تحري الخير وتجنب الشر حتى يصير كمانع في باطنه غير محسوس ، قاله الغزالي .

---

(1) ما بين المعقوفتين سقط من أ . الزيادة من : ب .
(2) ما بين المعقوفتين سقط من أ . الزيادة من : ب .
(3) ساقط من : ب .
(4) في ب : الإخوان .
(5) ب : الأشباح .

فهذه ستٌّ حقائق : **الهداية والرشد والعصمة والتسديد والنصر والتأييد** . وقد علمت كلها من كلام الغزالي ﷺ . والتحقيق : أنَّ **الهداية** هي : تصويب العبد إلى طريق توصله إلى الحق ، وقد تطلق على بيانها فقط . **والرُّشد** هو : «توجيه القلب إلى طريق السعادة » . **والتَّسْديد** هو : القدرة على سلوك طريق / 17 / الخير وتجنب الشر . **والعصمة** هو جود إلهي إلى آخر ما تقدم.

66 ـ الحِكْمَةُ (1) : وهي إتقان الشيء وإبداعه . ففي العلم : تحقيقه والعمل به، وفي القول : إيجازُهُ وتكثيرُ معانيه ، وفي العمل : إتقانُه وإكمالُهُ .

ويقال : نزلت الحكمة على ثلاث فِرَق على ألسنة العرب وأيدي الصين وعقول اليونان والله تعالى أعلم .

67 ـ العَقْلُ : وهو نور يُمَيَّزُ به بين النافع والضَّار ، ويحجز صاحبه عن ارتكاب الأوزار ، ونور روحاني تُدرك به النفس العلوم الضرورية والنظرية ، أو قوّة مهيئة لقبول العلم سُمِّيَ عَقْلا لأنه يعقل صاحبَهُ عما لا ينبغي ، وهو على قسمين : عقل أكبر ، وعقل أصغر . أما العقل الأكبر : فهو أول نور أظهره الله للوجود ، ويقال له : الروح الأعظم ، ويسمى أيضًا بالقبضة المحمدية ، ومن نوره يمتد العقل الأصغر كامتداد القمر من نور الشمس ، فلا يزال نورُه ينمو بالطاعة والرّياضة والتطهير من الهوى ، حتى يدخل العبد مقام الإحسان وتشرق عليه شمس العرفان فينطفي نوره في نور العقل الأكبر كانطواء نور القمر عند طلوع الشمس فيرى من الأسرار والغيوب ما لم يكن يره قبل . لأن العقل الأصغر نوره ضعيف لا يدرك إلا افتقار الصّنعة إلى صانعها ولا يدري ما وراء ذلك ، بخلاف العقل الأكبر فإنه يُدرك الصانع القديم قبل التجلي وبعده لِصَفَاءِ نُورِهِ

---

(1) لقد أورد الإمام الغزالي في معنى الحكمة قوله: والحكمة هي التي أثنى الله عز وجل عليها فقال تعالى : ﴿ يؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [البقرة آية : 269] . وقال منتقدًا العامة : اسم الحكيم في غير موضعه اسم الحكيم صار يطلق على الطبيب والشاعر والمنجم حتى على الذي يدحرج القرعة على أكف السوادية في شوارع الطرق . الإحياء (1 / 41) كتاب العلم

وَشِدَّة شُعَاعه، وفي بعض الأخبار ، « **أَوَّلَ ما خلق الله العقل فقال له : أَقْبِلْ . فَأَقْبَلَ ، ثم قَالَ له : أَدْبَرْ فَأَدْبرْ ، ثم قالَ : فَوعَزَّتي وَجَلالي لا أجعلك إلا فيمن أحْبَبْتُ من عبادي** » أو كما قال عليه السلام [(1)] . والحديث متكلم فيه فالعقل الأكبر لا يَنَالُهُ إلاَّ المحبوُّن الذين اختارهم الله لمعرفته الخاصّة . وأما العقل الأصغر فيعطيه للخاص والعام وهو على قسمين : **عقل موهوب ، وعقل مكسوب** :

68 ـ فالموهوب : هو الذى جعله الله فيه غريزة .

69 ـ والمكسوب : هو الذى يُكسب بالتجاريب والرياضات وارتكاب المحسن. قال بعضهم ، وعلامة العقل ثلاثة : تقوى الله عز وجل . وصدق الحديث ، وترك ما لا يعني. ا . هـ .

وقال عليه السلام : « ألا وإنَّ من علامات العقل التجافي عن دار الغرور ، والإنابة إلى دار الخلود، والتزود لسكنى القبور، والتأهب ليوم النشور» [(2)].ا. هـ.

وقال بعض الحكماء : خير ما أُعْطي الإنسان عقل يَزْجُرُهُ فإن لم يكُنْ فحياءٌ يَمْنَعُهُ ، فإن لم يكن فمالٌ يَسْتُره ، فإن لم يكن فصاعقة تحرقُهُ ، تستريح منه البلاد والعباد . ا . هـ .

وهل الأرواح قبل الأشباح كان لها عقل أم لا ؟ . والتحقيقُ أَنَّهَا كانت لها عقولٌ مُقْتَبَسَةٌ من العقل الأكبر ، فلذلك أَقَرَّتْ بالربوبية . بل كانت عَلامَةً دَرَّاكَةً للأشياء كما قال ابن البنا [(3)] : « والمعرفة والإدراك إنما يكونان بالعقل ، فلما

---

(1) حديث : « **أول ما خلق الله العقل** » . أورده السخاوي في كتابه المقاصد الحسنة حديث (269) (ص: 163) ولم يتكلم عليه السخاوي رحمه الله .

(2) أخرجه الإمام الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين ، وقال الحافظ العراقي في المغني في تخريج أحاديث الإحياء : إنَّ صدْر هذا الحديث رواه الحاكم في المستدرك .

(3) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي، المراكشي عرف بابن البنا كان أَبُوهُ محترفا بالبناء . قال فيه الإمام ابن رشيد : لم أَرَ عالمًا بالمغرب إلا رجلين : ابن البنا العددي المراكشي ، وابن الشاط بسبتة أخذ الطب عن الحكيم ابن حجلة توفي سنة (721هـ). ترجم له في: البدر الطالع (1/ 108 ،109)، نيل الابتهاج (ص90 - 83) ، النبوغ (ص: 213) .

برزت لعالم الأشباح أزال الله منها ذلك العقل الذي هو من / 18 / العقل الأكبر، وأَنْبَتَ فيها العقل الأصغر عند اجْتِنَانِ الولد في البطن : فما زال ينمو إلى الحُلْمِ ، وقيل : إلى أربعين سنة ، فإذا اتصل العبد بالطبيب عَالَجَهُ حَتَّى يُوَصِّلُهُ إلى العقل الأكبر ، فيكون صاحبُهُ من الأولياء الكبار وبالله التوفيق .

ـ التوحيد (1) : وهو على قسمين :

70 ـ توحيد البرهان : وهو إفراد الحَقِّ بالصِّفات والأفعال والذات من طريق البرهان .

71 ـ وتوحيد العيان : وهو إفراد الحق بالوجود في الأزل والأبد .

وقال الجُنَيْد ﷺ : هو معنى تَضْمَحِلُّ فيه الرسوم وتندرج فيه العلوم ، ويكون الله كما لم يَزَلْ ، وأصولُهُ خمسة أشياء : رفع الحدث ، وإفراد القِدَم ، وهجران الإخوان ، ومفارقة الأوطان ، ونسيان ما علم وما جهل .

قلت : والمعنى الذي تضمحل فيه الرُّسُوم هو ظهور أسرار الذات . فإذا وقع الكشف عنها بغيبة حس الكائنات التي هي أو ان لتلك المعاني انفرد الحق بالوجود ويكون فيما لم يزل كما كان في الأزل كان [الله](2) ولا شيء معه ، وهو الآن كما كان ، فيرتفع الحدث وينفرد القِدَمُ ، ويهجرُ صاحب هذا الذوق جميع الإخوان إلا من يستعين به على ربِّه ويفارق الأوطان في طلب الحق ؛ لأن الهجرة سنة ، وينسى ما علم وما جهل. أي يغيب عنه في جَنْب الكنز الذي ظفر به . وَسُئِلَ أيضًا ﷺ عن التوحيد فقال : لون الماءِ لَوْنُ إنائه. ا . هـ .

ومعنى كلامه ﷺ (3) أن الذات العلية كانت لطيفة خفية نورانية ، فَلَمَّا تَجَلَّت بالرّسوم والأشكال تلونت بِتَلَوُّنِهَا فافهَمْ وسَلِّم إن لم تَذُقْ .

ومقامات التوحيد (4) غير متناهية لأنها تتزايد بتزايُدِ الكشف والتَّرَقِّيِّ ، ففوق

(1) قال تعالى : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة آية : 163] .
(2) ما بين المعقوفتين سقط من : أ . الزيادة من ب .
(3) صيغة الترضي سقطت من : أ .
(4) انظر مقامات التوحيد في الرسالة القشيرية (ص: 298 _ 303) وكتاب التعرف لمذهب أهل التصوف (ص : 31 _ 35) .

التوحيد التـفريد ، فَإِنَّهُ أَرَقُّ من التوحيد وأعلى ؛لأنَّ التوحيـد يصدق على توحيد [أهل] (1) العلم (2) ، والتفريد خاص بأهل الذوق .

وفوق التفريد . **الأَحْدِيَةُ والإِيحَادُ والفَرْدانيةُ والوَحْدَانيةُ والانْفرَادُ** (3) : هكذا رُتْبَتُهُمْ في القوة (4) **فالأحدية** مبالغة في الوحدة ، **والإيحَادُ** مصدر أوْحَدَ الشيء إذا صار واحداً ، **والفردانية والوحدانية والانفراد** معناها إفراد الحق بالوجود ، ولا يكون إلا بعد انطباق بحـر الأحدية على الكل ، بحيث لم يبق (5) وجود لغـيره قَطُّ، حين يذوق ذلك ذوقًـا ، ويغرق غـرقًا ، ويقـال لأهل هذا المقام : الأفـراد والأجـاد ، وهم أكـمل من القطـب في العلم بالله ، كـمـا قـال الحـاتمي (6) : وخارجون عن دائرة تصرفه والله تعالى أعلم .

75 ـ **حقـيقة الـذات العلية** : هي ذات كلية أزلية لطيـفة خفية متـجلية بالرّسوم والأشكال متصفة بصفات الكمـال ، واحدة في الأزل وفيما لا يزال ، هذا رسْمُها بالخواص ، وأَمَّا كُنْهُ الحقـيقة فلا يحيط بها إلا هو تعـالى . [وقوله ذات كلية ، هو على مذهب أهل الفناء الذين لا يرون مع الله / 19 / شيئًا كما قال الشاعر :

مُذْ عرفت الإله لم أر غيراً … وكذا الغيرُ عندنا مَمْنُوعُ

فالذات العلية هي كلية الأشياء (7) وعين ذاتها كما قال الجيلاني(8) ﷺ (9) في عينيته :

هو مَوْجِدُ الأشياء وهو وُجُودُها … وعين ذواتِ الكل وهو الجوامعُ

---

(1) ما بين المعقوفتين ساقط من النسختين زدناه من المطبوع ليتم به السياق .

(2) في ب : العلوم .

(3) سقط من : ب .

(4) في ب : القوت .

(5) سقط من : ب .

(6) هو محيي الدين بن عربي الفقيه الظاهري من أعمل مرية بالأندلس توفي سنة (638 هـ) بقرطبة . ترجم له في: شذرات الذهب (5 / 190) .

(7) سقط من : ب .

(8) هوعبد القـادر بن موسى بن عبد الله الجـيلاني أو الكيلاني مؤسس الطريقـة القادرية من كـبـار الزهـاد توفي سنة (561 هـ) . ترجـم له في : شـذرات الذهب (198/4) ، والطبقات الكبرى للشعراني (1 / 126 - 132) رقم (248) .

(9) صيغة الترضي سقطت من : أ .

ولا يفهم هذا إلا أهل الفناء من أهل الأذواق، وهذا هو التوحيد الخاص أعني[1] انفراد الحق بالوجود كما تَقَدَّم] [2] .

76 ـ العما : [معناه السحاب] [3] هو عبارة عن صفات الذات العلية في الأزل [4] قبل التَّجَلِّي ، وحقيقته فضاء لطيف خفي صاف لا يدرك لأحد لفوقيته ولا لتحتنيته ، ولا لجوانبه الأربع ، ولا نهاية لأوليته ولا لآخريته ، خال عن الرسوم والأشكال ، متصف بأوصاف الكمال من القدرة والإرادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام ، ويجمعه قول ابن الفارض[5] في خَمْرِيَّته :

يقولون لي صِفْهَا فأنت بوَصْفِهَا ... خبيرٌ أجل عندي بأوصافها علْمُ

صفاءٌ ولا ماء ولطف ولا هوى ... ونورٌ وَلا نَارٌ وَرُوحٌ وَلا جِسْمُ

تَقَدَّمَ كُـلَّ الكائنـات حديثُهَا ... قَديمٌ وَلا شَكْلٌ هُنَاك وَلا رَسْمُ

ثم تَجَلَّتْ بالرسوم والأشكال بحيث صار اللطيف كثيفا والخفي ظاهراً . والغيبُ شهادةً ، فما كان في الأزل هو عين ما تجلَّى به في الأبَد كان الله وَلا شيءَ معه ، وهو الآن على ما عليه كان . وفي حديث الترمذي عن أبي رزين العقيلي قلت : يا رسول الله أين كَانَ رَبُّنَا قبل أن يخلق خَلْقَهُ ؟ قال :« **كان في عَمَى ما فوقه هواء ، وما تحته هواء** ». ا . هـ .

أي كان في خفاء ولطافة ، ليس فوقه هواء ، ولا تحته هواء ، بل عظمة ذاته أحاطت بِكُلِّ فوق ، وبِكُلِ تحت ، وبكل هواء .

وقيل لسيدنا علي كَرَّم الله وجهه : يا بن عم رسول الله ، أَيْنَ كَانَ رَبُّنَا ؟ أَوَ هَلْ لَهُ مَكَانٌ ؟ فتغير وَجْهُهُ وَسَكَتَ سَاعَةً ثم قال : قولكم : أين الله ؟ سؤال عن

---

(1) في ب : يعني .

(2) ما بين المعقوفتين سقط من : المطبوع .

(3) ما بين المعقوفتين سقط من النسختين الزيادة من : المطبوع .

(4) سقط من : ب.

(5) هو أبو حفص عمر السعدي المعروف بابن الفارض توفي سنة (632هـ) ترجم له في: شذرات الذهب (ص 5 / 149) ، جامع الكرامات العلية : للكوهن (ص69 _ 75).

مكان ، وكان الله ولا مكان ، ثم خلق الزمان والمكان، وهو الآن كما كان دون زمان ولا مكان ا . هـ .

أي كان الله [1] ولا شيء معه ، وهو الآن لا شيء معه ، فافْهَمْ .

77 _ 78 ـ الفناء والبقاء : إذا أطلق الفناء إنما ينصرف للفناء في الذات . وحقيقته : محو الرسوم والأشكال بشهود [حقيقة الفناء في] [2] الكبير المتعال ، أو استهلاك الحس في ظهور المعنى .

وقال أبو المواهب: [حقيقة الفناء] [3] مَحوٌ واضْمحْلال وذهاب عنك وزوال. وقال أبو سعيد بن الأعرابي : « هو أن تبدو العظمة والإجلال على العبد فَتُنَسِّيه الدنيا والآخرة والأحوال والدرجات ، والمقامات والأذكار ، يفنيه عن كل شيء ، وعن عقله وعن نفسه وفنائه عن الأشياء ، وعن فَنَائِهِ عن الفناء لأنه يَغْرَقُ في التعظيم . ا هـ . أي تتجلى له عظمة الذات فتغيبه عن رؤية الأشياء ومن جملتها نَفْسُهُ ، فتصير عَيْنُ العَيْن ، ويغرق / 20 / في بحر الأحدية ، وقد يطلق الفناءُ على الفناء في الأفعال ، فلا يرى فاعلاً إلا الله ، وعلى الفناء فى الصفات فلا قادرٌ ولا سميع ولا بصير إلا الله يعني أنه يرى الخلق موتى لا قدرة لهم ولا سَمْعَ ولا بَصَرَ إلا بالله ،وبعد هذا يقع الفناء في الذات، وفي ذلك يقول الشاعر :

فَيَفْنَى ، ثم تَفْنَى ثم يَفْنَى فكان فَنَاؤُهُ عَيْنَ البَقَاء[4]

وأما البقاء : فهو الرجوع لشهود [5] الأثر بعد الغيبة عنه ، أو شُهودُ الحِسِّ بعد الغيبة عنه بشهود المعنى ، لكنَّهُ يراه قائما بالله ، ونورًا من أنوار تجلياته ، إذ لولا الحِسُّ ما ظهرت المعنى ، ولولا الواسطة ما عرف المَوْسوط . فالحق سبحانه [6]

---

(1) اسم الجلالة لم يرد في أ . الزيادة من : ب .

(2) ما بين المعقوفتين سقط من : أ . وثابت في : ب . الزيادة منها .

(3) ما بين المعقوفتين سقط من : أ . الزيادة من : ب .

(4) البيت كما ورد في الرسالة على الشكل التالي :

فأفنوا ثم أفنوا ثم أفنوا وأبقوا بالبقاء من قرب ربه

(5) في ب : إلى شهود . (6) في ب : تعالى .

تجلى بين الضِّدَّيْنِ ، بين الحسِّ والمعنى ، وبين القدرة والحكمة وبين الفَرْق والجمع ، فالغَيْبَة عن أحد الضِّدَّيْن فناء ورؤيتهما [1] معا بقاء ، فالبقاء اتساع في الفناء بحيث لا يحجبه جمعه عن فَرْقه ، ولا فناؤه عن بقائه ، ولا شهود القدرة عن الحكمة ، بل يُعطى كُلُّ ذي حَقٍّ حَقَّهُ ، ويُوفى كل ذي قِسْط قِسْطَهُ ، وقد يطلق الفناء على التخلي والتَحلِّي فيقال : فَنَا عَنْ أوصافه المذمومة ، وبقي بالأوصاف المحمودة [2] والله تعالى أعلم .

القدرة والحكمة :

79 ـ القدرة : عبارة عن إظهار الأشياء على وفق الإرادة .

80 ـ والحكمة : عبارة عن تستُّرها بوجود الأسباب والعلل . فالقدرة تَبَرُّزٌ ، والحكمة تَستُّرٌ والقدرة لا تنفك عن الحكمة إلا نادرًا في معجزة أو كرامة أو شعوذة ، وقد تطلق القدرة على الذات بعد تجليها من إطلاق الصفة على الموصوف ، والحكمة ما يسترها من الحِسِّ وأوصاف البشرية وأحكام العبودية ، فظهوره تعالى بمقتضى اسمه الظاهر يسمى قدرة ، وبطونُهُ في ظهوره ، بمقتضى اسمه الباطن يسمى حِكمَة ، فتجليه تعالى من عالم الغيب إلى عالم الشهادة قُدْرَة ، وخفاؤه في ظهوره حكمة ، وإليه يشير قول الحِكَم : « سبحان من سَتَرَ سِرَّ الخصوصية بظهور البشرية ، وظهر بعظمة الربوبية في إظهار العبودية » [3] .ا هـ .

81 ـ 82 ـ الفَرْقُ والجَمْعُ ، الفرق : عبارة عن شهود حسِّ الكائنات ، والقيام بأحكامه وآدابه من العبادة والعبودية .

والجمع : عبارة عن شهود المعنى القائم بالأشياء متصلا بالبحر المحيط الجَبروتي .

أو نقول : الفرق شهود القوالِب ، والجمع شهود المظاهر . فالقوالبُ محل الشرائع والمظاهر عين الحقائق .

---

(1) في ب : وملاحظتهما .

(2) في أ : المذمومة ، والتصويب من : ب وهو الثابت .

(3) الحِكَم لابن عطاء الله السَّكَنْدَري (ص:124) رقم (108) .

وقال أبو علي الدقاق : « الفرق ما نُسِبَ إليك والجمع ما سُلِبَ عنك»[1].ا.هـ .

فالفرق بلا جمع فُسوق وجمودٌ وجهل بالله تعالى، والجمع بلا فَرْقٍ زندقة وَكُفْرٌ إن لم يكُنْ سكر ؛ لأنه يؤدي إلى إبطال الشرائع التي جاءت بها الرسل عليهم السلام ، وإلى إبطال الحكمة والقدرة ، لا تنفك عن الحكمة ، فالواجب أن يكون العبد مجموعا في فَرْقِه معروفا في جمعه / 21 / الجمع في الباطن موجود ، والفرق على الظاهر مشهود .

الحِسُّ والمَعْنَى :

83 ـ الحِسُّ : « عبارة عن تكثيف الأشياء ظاهرًا » .

84 ـ والمعنى : « عبارة عن تلطيفها باطنًا » فحس الكائنات أوان حاملة للمعاني . قال **الششتري** [2] ﷺ : « لا تنظر إلى الأواني ، وَخُضْ بحر المعاني لَعَلَّكَ تراني » .

فمثال الكون كالثَّلْجَةِ ، ظاهرها ثلج وباطنها ماء .

كذلك الكون ظاهره حِسٌّ وباطنه معنى ، والمعنى : هي أسرار الذات اللطيفة القائمة بالأشياء ، فقد سَرَتِ المعاني في الأواني سريان الماء في الثلجة .

وفي ذلك يقول قطب الأقطاب الشّيخ الجيلاني ﷺ :

وما الكَوْنُ فِي التِّمْثَال إلا كَثَلْجَةَ وأنــت لهــا الماءُ الذي هو نَابِعُ

فما الثَّلْجُ فِي تَحْقِيقِنَا غيــرُ مائه وَغَيْرَان في حُكْم دعته الشَّرَائِعُ

فلا قيام للحس إلا بالمعنى ، ولا ظهُور للمعنى إلا بالحس . فالمعنى رقيقة لطيفة ، لا تُدْرَكُ إلا بِتَحَسُّسِهَا في قوالب الكائنات ، فظهور المعنى بلا حِسّ

---

(1) ورد هذا التعريف في الرسالة القشيرية (ص:64) .

(2) هو أبو الحسن علي بن عبد الله الشُّشْتَرِي الأندلسي المغربي الشاذلي كان أبوه أميرًا توفي سنة (668 هـ) ترجم له في: عنوان الدراية (ص: 239 _ 242) ، نيل الابتهاج (ص: 321 _ 323) رقم (409)، جامع الكرامات العلية للكوهن (ص : 63 _ 65) .

مُحَالٌ ، وشهود الحسِّ بلا معنى جهل وظلمة . ولذلك قال في الحِكَم : « الْكَوْنُ كُلُّهُ ظُلْمَةٌ وَإِنَّمَا أَنَارَهُ ظُهورُ الحق فيه [1] . . إلخ » . فلا يرى الحق تعالى إلا بواسطة التجليات في هذه الدار وفي تلك الدار . وفي ذلك يقول بعضُهم :

وليست تُنَالُ الذَّاتُ من غير مَظْهَرٍ ولو هُتِك الإنسانُ من شِدَّة الحِرْصِ

الْمُلْكُ والمَلَكُوتُ وَالْجَبَرُوتُ :

85 ـ الْمُلْكُ : ما ظهر من حِسِّ الكائنات .

86 ـ وَالْمَلَكُوتُ : ما بَطُنَ فيها من أَسْرار المَعَانِي .

87 ـ وَالْجَبَرُوتُ : البحر المحيط الذى تَدَفَّقَ عنه الحِسُّ والمعنى .

والحَاصِلُ أن القَبْضَةَ التي ظَهَرَتْ أوَّلا من فَضَاءِ العَمَاءِ حِسُّهَا الظاهر مُلكٌ ، ومعناها الباطن ملكوتٌ ، والبحرُ اللطيف [2] المحيط الذي تدفقت منه جبروتٌ . فأسرار المعاني رياضُ العارفين لأنها مَحَلٌّ نزهة أرواحهم . ولا شك أن المعاني لطيفة ، لا تظهر بهجتُها إلا في الحس الذي هو المُلْكُ . والحِسُّ من حيث هو مضاف إلى نبينا عليه الصلاة والسلام ؛ لأنه ما ظهر إلا له ، وما انشقّت أسرار الذَّات إلا من نوره ، فلذلك قال القطب ابن [3] مشيش ﷺ [فَرِيَاضُ المَلَكُوت][4] بزَهْرِ جَمَالِهِ مُونِقَةٌ أي مُحْسَنَةٌ مُعْجَبَةٌ ، فقد ذكر المُلْكَ بالالتزام ؛ لأن [جمال][5] زهر المعاني ، لا يظهر إلا في حِسِّ الكائنات وهو المُلك .

---

(1) الحِكَم العطائية (ص: 106) رقم (14) . وتتمته : « فمن رأى الكون ولم يشهدْهُ فيه أو عنده أو قبله أو بعده فقد أعوزه وجود الأنوار ، وحُجِبَتْ عنه شموسُ المعارف بِسُحُب الآثار » .

(2) سقط من : ب .

(3) هو عبد السلام بن مشيش قطب دائرة المحققين أستاذ أهل المشرق والمغرب له كرامات وخوارق توفي سنة (622 هـ) وقبره بجبل العلم إقليم شفشاون . ترجم له في جامع كرامات الأولياء (2 /167 _ 168) ، جامع الكرامات العلية للكوهن (ص: 59 _60).

(4) ما بين المعقوفتين سقط من: أ . الزيادة من : ب .

(5) ما بين المعقوفتين سقط من: أ . الزيادة من : ب .

وقوله : وحيــاض الجبروت بفيض أنــواره متدفِّقَةٌ ، الأصل أن يــقول: وبحر الجبــروت يفيْض نُورِه مــتَدَفِّقٌ يشــير إلى ظهور القــبضــة المحمدية مــن بحر نوره اللطيف، وإنما عَبَّرَ بالحــياض لِيُنَاسبَ الرياض. وإنما جمع نور القبضة لــتفرعه إلى أنوار كثيرة ، كما جمع العالَمِيْن ، مع أنَّ العالم واحد لِتَعَدُّدِ أنْوَاعِهِ ، والله تعالى أعلم.

فحقيقة الملك : ما يُدْرَكَ بالحسِّ والوهم .

وحقيقة الملكوت : ما يُدْرِكُ بالعلم والذَّوْقِ .

وحقيقة / 22 / الجبروت : ما يُدْرِكُ بالكشف والوُجْدَانِ . فالوجود واحد ، وإنما تختلف التســمية [1] باعتبار الرؤية والتــرقية . فمن وقف مَعَ حِسِّ الكائنات وحُجِبَ بهــا عن المعنى ، سُمِّيَ في حَــقِّهِ مُلْكًا ، ومن نفــذ إلى شهــود المعاني ، سُمِّيَ في حقه ملكوتًا ، ومن نظر إلى أصل القَبْضَةِ التي برزت مِنْهُ سماَّهُ جَبَرُوتا، فإن ضَمَّ الفــروع إلى الأصول [2] أو تلطفت الأواني حــتى صارت كلها مــعان ، وانطبق بحر الأحدية على الكل ، صــار الجميع جبروتًا ، فكل مقــام يَحْجُبُ عَمَّا قبله ، فــالملكوت يَحْجُبُ عن شــهود المُلْك ، والجبــروت [يحجب] [3] عــن الملكوت إلا بالتَّنَزُّلِ في حال السلوك والله تعالى أعلم .

النَّاسُوتُ واللاَّهُوتُ والرَّحَمُوتُ :

88 ـ الناسوت : عبارة عن حِسِّ الأواني .

89 ـ واللاهــوت : عبارة عن أسرار المعــاني . ومرجع الأول للملك ، والثاني للملكوت.

90 ـ والرحــمــوت : عبارة عن سَــرَيَانِ اللُّطْفِ والرَّحْمَةِ في جمــيع الأشياء ، جلالها وجمالها ، مَنْ ظَنَّ انْفِكاكَ لُطْفِ الله عن قَدَرِهِ فذلك لقصُور نَظَرِهِ .

التَّوَاجُدُ والوَجْدُ ، والوُجْدَانُ ، والوُجُودُ :

91 ـ التَّــوَاجُــدُ : تكَلُّفُ الوُجْدِ واستعماله كاســتعمال الرقص والشطح والقيام

---

(1) في ب : النسبة . (2) في أ : أصلها .

(3) ما بين المعقوفتين سقط من : أ . الزيادة من : ب .

وغيـر ذلك وهو غير مُـسَلَّم ، إلا للفقراء المتـجردين فلا بأس ، فـتكلف الوجد واستـعماله كمـا يُطلَبُ الحال دواء للنفوس وهو مقام الضعـفاء ، وقد تستـعمله الأقوياء مُسَاعَـفَةً أو حَلاوة . قيل لأبي محمد الجريري : مـا حالُكَ في السَّماع ؟ فقال : « إذا حضر هناك مُحْتَشِم أمسكْتُ وَجْدي ، وإذا خلَوْتُ أَرسَلْتُ وَجْدي . فَتَوَاجَدْتُ » (1) . وأما الجنيد فكان أولاً يتواجد ثم سكن فقيل له : يا سيدي أمَا لَكَ في السَّمـاع شيء ؟ فقـال : ﴿ **وَتَرى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ** ﴾ (2) .

قـلـت : وقد حضرت سمـاعا مع شيخنا البوزيدي (3) رضي الله عنه ، فـكان يتمـايل يمينا وشـمالا ، وحدثني مـن حضر سـماعـًا مع شيـخه مولاي الـعربي الدرقـاوي (4) فقال : ما زال قـائمًا يرقص حتى [كمل] (5) السمـاع ولا يُنكِرُ السماع إلا جَاحِدٌ جاهل ضال عن أسرار الحقيقة .

92 ـ وأما الـوُجْد : فهو الذي يَرِدُ على القلب ويصادفه بلا تأمل ولا تكلف ، إمَّا شَوق مُقْلِقٌ أو خَـوْف مُزْعِجٌ . وهو بعد التواجد ، ويقـال : التواجد ثمرة (6) المنازلة في أسـرار الحقائق ، كـما أن حلاوة الـطاعات ثمرات المُنَازَلَة فـي الطاعة

---

(1) انظر قول الجريري في الرسالة القشيرية (ص : 62) .

(2) سورة النمل آية (88).

(3) هو محمد بن أحمد البوزيدي الغُمَارِي الحسني كان صوفيا من أكبر تلامذة الشيخ العربي الدرقاوي ، له تأليف في علم التصوف وطريق القوم علـى طريقة الإملاء لأنه كان أُمِّيًا لا يحسن الكتـابة ، توفي سنة (1229 هـ) . ترجم له في : إتحاف المطالع (1 / 112) ، دليل مؤرخ المغرب الأقصى (2/ 408 _ 409) رقم (1859) .

(4) هـو أبو حـامـد العـربـي بـن أحـمد بـن الحسـين الدرقـاوي الحسني المتـوفى سـنة (1239هـ / 1823 م) له زوايا في جل مدن المغرب دفن ببُوبْرِيح من قبيلة بني زروال . ترجم له في إتحـاف المطالع (1 / 133) ، دليل مؤرخ المغـرب الأقصي (1 / 224) رقـم (883) .

(5) ما بين المعقوفتين سقط من : أ ، الزيادة من : ب .

(6) في ب : ثمرات .

الظاهرة ، فكلما أشتد التحقق بأسرار الحقائق والتوحيد قَوِيَ الوُجْدُ ، كما أنه كلما اشتد الدَّوَامَ على الطَّاعة [1] قويت حلاوتُها .

93 ـ **وأما الوُجْدان** : فهو دوام حلاوة الشهود واتصالها مع غَلَبَةِ الشُّكْر والدَّهَشِ، فإن استَمَرَّ مع ذلك حتى زالت الدهشة والحيرة ، وصفت الفكرة والنظرة فهو الوجود وإليه يشير قول الجنيد ﷺ / 23 / .

وُجُودِي أن أغيب عن الوجود بما يبدو عَلَيَّ من الشهودِ [2]

وقال أبو علي الدقاق ﷺ :

التَّوَاجُدْ : « يُوجب استيعاب العبد ، والوُجْدُ يوجب.

94 ـ **استغراق العبد . والوجود** : يوجب أستهلاك العبد . فهو كمن شهد البحر ثم ركب ثم غَرِقَ »[3] . ا . هـ .

قال القشيري : « وترتيب هذا الأمر قصودٌ ثم ورودٌ ثم شهودٌ ثم وجودٌ ثم خمودٌ » [4] . ا . هـ .

فالقصود للمتواجدين القاصدين ، الوُجدُ والوَرْدُ للواجدين الشاربين الخمرة ، والشهود لأهل الوُجْدَانِ السُّكَارى ، والوجودُ والخمودُ لأهل الصّحو والله تعالى أعلم .

95 - 96 - 97 - 98 ـ **الذَّوْقُ ، وَالشُّرْبُ والسُّكْرُ ، وَالصّحْوُ** : **الذَّوْقُ** : يكون بعد العلم بالحقيقة ، وهو عبارة عن بروق أنوار الذات القديمة على العقل . فيغيبُ عن رؤية الحدوث في أنوار القِدَمِ، لكنه لا يدوم ذلك، بل يلمع تارة ويخفى أخرى فَصَاحِبُهُ يدخُلُ ويخرجُ، فإذا لمع غاب عن حِسِّهِ، وإذا خَفِيَ رَجَعَ

---

(1) في أ : الطاعات .

(2) انظر البيت في الرسالة القشيرية (ص :63) .

(3) الرسالة القشيرية :(ص :63) .

(4) الوارد عند القشيري في رسالته (ص:63) : « وترتيب هذا الأمر قصود ثم ورود ثم شهود ثم وجود ثم خمود وبمقدار الوجود يحصل الخمود » .

إلى حسِّه ورؤية نفسه ، فهذا يُسَمّى عندهم ذوقا، فإن دام له ذلك النور ساعة أو ساعتين فهو **الشُّرْبُ**. وإن اتصل ودام فهو **السُّكر**، ومرجعه إلى فَنَاء الرُّسوم في شهود الحيِّ القيوم والغيبة عن الأثر في شهود المؤثر ، ويسمى أيضًا الفناء ، فإن رجع إلى شهود الأثر وقيامها بالله وأنها نور من أنوار الله ، فهو **الصحو** ، ويسمى أيضًا بالرّي وبالبقاء لإبقاء الأشياء بالله بعد فَنَائِهَا ، ويسمى أيضًا فناء الفناء لأنه عَلِمَ أنه لم يكن ثَمّ شيء يفنيه غير الوهم والجهل وهما لا حقيقة لهما .

قال القشيري : « واعلم أنّ الصحو على قدر السُّكْرِ ، فكل من كان سُكْرُهُ بحق ، كان صَحْوُهُ بحق ، ومن كان سُكْرُهُ بحظ مَشُوبًا كان صَحْوُهُ بحظ مصحوبًا، ومن كان مُحقًّا في حاله كان محفوظًا في سُكْرِهِ »[1] .

ثم قال : فمن قَوِىَ حُبُّهُ تَسرْمَدَ شُرْبُهُ وَلله دَرُّ القائل :

شربتُ الحُبَّ كأسًا بعد كأسٍ فما نفد الشرابُ وَلا رَوِيتُ

المَحْوُ والإثْبَاتُ :

99 ـ المَحْوُ : الغيبة عن الكائنات فناء .

100 ـ والإثبات : إثباتها بقاءٌ .

ويطلق على محو الأوصاف الذميمة . وإثبات الأوصاف الحميدة ، وهي ثلاث مراتب[2]: محو الزلة عن الظواهر ، ومحو الغفلة عن الضمائر ، ومحو العلة عن السرائر .

ففي محو الزلة إثبات التوبة[3] ، وفي محو الغفلة إثبات اليقظة[4] ، وفي محو العلة إثبات الصفا[5] .

---

(1) انظر الرسالة القشيرية :(ص :72) .

(2) سقط من : ب .

(3) في الرسالة القشيرية : المعاملات .

(4) في الرسالة : المنازلات .

(5) في الرسالة : المواصلات . انظر : (73).

101 - 10 ـ السِّتْرُ والتَّجَلِّي : **السِّتْرُ** عندهم عبارة عن غيبة العبد عن ربه ترويحًا وتنزُّلا أو شغلا بشأن من شؤون النفس ، **والتجلي** عبارة عن كشف العبد بعظمة ربِّهِ وهذا قبل الرُّسُوخ . وأمّا بعد الرسوخ فلا غيبة له .

فالعَوَامُّ في غطاء السِّتر على الدوام ، والخواص بين كشف وغطاء ، وخواصُّ الخَوَاصِّ في دوام / 24 / التجلي ، فالستر للعوام عقوبة ، وللخواص رحمة ، إذ لولا أنهم [1] يستر عنهم في بعض الأحيان لتلاشوا عند سلطان الحقيقة ، ولكنه كما يُظهر لهم يستر عنهم . « فالخواص بين عيش وطِيش إذا تجلى لهم طاشوا ، وإذا ستر عنهم ردّوا إليهم فعاشوا » [2] .

المُحَاضَرةُ والمُكَاشَفَةُ والمُسَامَرَةُ [3] :

103 ـ المُحَاضَرَةُ : حضور القلب مع الرَّبِّ ويكون من وراء حجاب ، إما بتواتر البرهان ، أو بفكرة الاعتبار ، أو باستيلاء سلطان الذِّكْرِ على القلب ، ثم بعده :

104 ـ المكاشفة : وهو حضور القلب مع الرب بنعت البيان غير مفتقر في هذه الحالة إلى تأمُّلِ الدليل ، وتطلب السبيل. ويكون أيضًا مع الحجاب بِنَعْتِ القُرْبِ في مَقَامِ المراقبة وهو للعبَّاد والزُّهَّادِ ونهاية الأسْرارِ ، وأما مكاشفة ضمائر الناس فليست بمقصودة عندهم قد يعطاها من لم يبلغ لهذا المقام وبعد المحاضرة والمكاشفة :

105 ـ المسامرة : وهي ظهور أسرار الذات ، فيغيب العبد عن وجوده ، ويغرقُ في بحار الأحدية ساعة [أو ساعتين ثم يرجع إلى شاهده وَحِسِّه كمن يسمر في عومه تحت الماء ساعة أو أكثر ثم يخرج وهي من بداية الوُجْدَانِ ولمعان أنوار المشاهدة [4]] ثم بعدها المشاهدة وهي دوامُ شهود الحق بلا تعب

---

(1) في أ : أنه . التصويب من : ب .

(2) الرسالة : (ص : 75) .

(3) في الرسالة : والمشاهدة :(ص : 75) .

(4) ما بين المعقوفتين سقط من : المطبوع.

أو وجود الحق بلا تهمة . وقال الجنيد ﷺ : « المشاهدة وجود الحق مع فقدانك » [1]. ا .هـ. وقد تقدم تفسيرها ، وإنما أعيدت هنا لترتيبها على ما قبلها قال : القشيري . « فصاحب المحاضرة مربوط بآياته ، وصاحب المكاشفات مبسوط بصفاته ، وصاحب المشاهدة ملقى بذاته » [2].

قلت : وصاحب المسامرة تارة بتارة ، ثم قال القشيري : « صاحب المحاضرة يهديه عقلهُ ، وصاحبُ المكاشفة يُدْنيه عِلْمُهُ ، وصاحب المشاهدة [3] تَمْحُوهُ مَعْرِفَتُه » [4] وأجمع ما قيل في المشاهدة : أنه توليٌّ أنوار التَّجَلِّي على القلب من غير أن يتخلله ستر وانقطاع ، كما لو قُدِّرَ اتصال البروق في اللَّيْلَةِ الظلماء ، بأنها تصير في ضوء النهار ، وكذلك القلب إذا دام له دوام التجلي فلا ليل ، وأنْشَدُوا:

لَيْلي بوجهك مشرق وظلامُهُ في النَّاسِ سَارِ
النَّاسُ في سدف الظلام ونحن في ضوء النهارِ [5]

والسَّدْفُ [6] بِالسِّينِ : الظُّلْمَةُ كما في القاموس .

وقال النوري [7]: « إذا طلع الصباح استُغْنِيَ عن المصباح » [8] ا.هـ . وقول الشاعر ليلي بوجهك . . . إلخ . أي ليل وجودي مشرق بوجود ذاتك ، فقد ذهبت ظلمة وجودي في نهار وُجُودِكَ .

106 _ 107 _ 108 ـ اللَّوَائِحُ واللَّوامِعُ والطَّوَالِعُ : وهي ألفاظٌ متقاربةٌ ؛ وهي لأهل البدايات حين تبرق / 25 / عليهم أنوار الشهود ثم تستر فتكون أَوَّلا لوائحُ، ثم لوامعُ ، ثم طوالعُ .

(1, 2 , 3) الرسالة : (ص: 75) .
(4) قال النوري : « لا يصح للعبد المشاهدة ما دام حيا » الرسالة (ص: 76) .
(5) الرسالة : (ص: 76) .
(6) القاموس المحيط مادة « سدف » (ص : 737) دار الفكر لبنان (1995) .
(7) في أ : النوادر . والصواب ما أثبتناه من : ب ، والرسالة والمطبوع . واسمه أحمد النوري ت سنة (295 هـ 908م) ترجم له في الرسالة (ص438 _ 439) ، طبقات الصوفية (ص135 _ 139).
(8) الرسالة : (ص: 76) .

فاللَّوَامِعُ أظهـر من اللوائِح ، والطوالعُ أظهرُ من اللوامِعِ ، فقـد تَبْقى اللَّوَامعُ ساعتين أو ثلاثا ، بخلافِ اللوائح فإنها أَخَفُّ لزوالها بسرعة كما قال الشَّاعرُ :

افترقْنَا حَوْلاً فَلمَّا اجْتَمَعْنَا [1] كَانَ تَسْلِيمُهُ عَلَيَّ وَدَاعَا [2]

وقال آخر :

يا ذا الـذي زار وَمَـا زَارَا كأنــه مُقْتَبِـسٌ نَـــارًا

مَرَّ ببابِ الـدارِ مستعْجِلاً ما ضَرَّهُ لَوْ دَخَلَ الـدَّارَ [3]

وأمـا الطوالع : فإنهـا أبقى وقتا ، وأقوى سلطـانا ، وأذهب للظلمة وأنفى للتهمة لكنهـا على خطر الأفُول ، لم يتمكن صاحبهـا من طلوع شَمْسِ عِرْفَانه ، فأوقات حصولها وشـيكة الارْتِحَالِ ، وأحوالُ أُفُولِهَا طويلة الأذيال [4] . لكـن إذا غَرُبَتْ أنوارُهَا بقيت آثارُهَا . فصاحبـها إذا غربت أنوارها يعيش في بركات آثارها إلى أن تعود ثانيًا ، هكذا حـتى تطلع شمس نهاره بتمكنه ، فلا مغـيب لها حينئذ كما قال القائل :

طَلَعَتْ شمـسٌ من أحِـبُّ بليلٍ واسْتَنَـارَتْ فَمَـا تَلاَهَـا غُـرُوبُ

إِنَّ شَمْسَ النهار تغـربُ بالليـل وَشَمْسُ القلوب ليس [5] لها مغيبُ

109 - 110 ـ البواده والهـجومُ : البَـوَادهُ : « ما يفجأُ القلبَ مـن ناحية الغيب على سبيل البَغْتَةِ ، إمَّا موجبُ فرح أو ترحَ » [6] .

والهُجُومُ : « ما يرد على القلب بقوة الوقت من غير تَصَنُّعٍ وَلا تَكَسُّبٍ »[7] ،

---

(1) في الرسالة : التقينا .

(2 , 3,4) الرسالة : (ص: 77) .

(5) في ب : ليست تغيب .

(6) في الرسـالة : « ما يفـجأ قلـبك من الغيب على سـبـيل الوهلة ، إما بموجب فـرح أو بموجب ترح » (ص 78) .

(7) في الرسالة : منك .

وتختلف أحوالهم على حسب ضعفهم وَقُوَّتِهِمْ فمنهم من تغيره البواده ، وتتصرف فيه الهواجم ، ومنهم من يكون فوق ما يفجأه حالا وقوةً لا تغيره الهواجم ، ولا تتصرف فيه البوادي ، ولا تزعجه الهموم ، ولا تحرّكه المخاوف ، أولئك ساداتُ الوقت كما قيل :

لا تهتدي نوبُ الزمان إليهم ولهم على الخطب الجليل لجامُ(1)

وهؤلاء هم أهل الرسوخ والتمكين جعلنا الله منهم آمين .

111 - 112 ـ التَّلْوِينُ والتَّمْكِينُ : التَّلْوِينُ : هو الانتقال من حال إلى حال ، ومن مقام إلى مقام . وقد يسقط ويقومُ، فإذا وَصَلَ إلى صريح العِرْفَانِ وتمكَّنَ من الشهود، فصاحب تمكين ، فصاحبُ التلوين أبدًا في الزيادة ، وصاحب التمكين وَصَلَ وَتَمكَّنَ . فانتهاء سَيْرِهِمْ الظفر بنفوسهم ، فإن ظفروا بها ، فقد وصلوا فانخَنَسَتْ أوصافُ البشرية واستولى عليها سُلْطَانُ الحقيقة ، فإن (2) دام ذلك للعبد فهو صاحب تمكين ، وقد يكون التلوين بعد التمكين ، ومعناه : النزول في المقامات كنزول الشمس في برجها (3) ، فيتلون العارف مع المقادير ، وَيدُورُ معها حيث دارت ، ويتلونُ بِتَلَوُّنِ الوقت ، فيكون بين قبض وبسط ، [وقوة] (4) وضعف ، ومنع وعطاء ، وسرور وَحُزْنٍ ، وغير ذلك من تقلبات الأحوال ، / 26 / غير أنه مالك غير مملوك ، لا يتغير بتغير الأحوال ، ولا يتأثر بالزلازل والأهوال ، والله تعالى أعلم .

113 - 114 ـ القُرْبُ والبُعْدُ :

القُرْبُ (5) : كِنَايَةٌ عن قرب العَبْدِ من ربِّهِ بطاعته وَتَوْفِيقِهِ وهو على ثلاثة مراتب:

---

(1) الرسالة : (ص: 78) .
(2) في ب : فإذا .
(3) في ب : بروجها .
(4) ما بين المعقوفتين سقط من : أ . الزيادة من : ب .
(5) لفظة قرب وردت في قوله تعالى : ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ [سورة ق: آية 16] ، وقوله تعالى : ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ ﴾ [سورة الواقعة : آية 85] .

قُرْبٌ بِالطَّاعَاتِ وَتَرْكِ الْمخَالَفَاتِ ، وَقُرْبٌ بِالرِيَّاضَاتِ وَالْمُجَاهَدَاتِ ، وقرب بالوُصُولِ والمشاهدات [1] ، فقرب الطالبين بالطاعات [1] ، وقرب المريدين بالمجاهدات [1] وقرب الواصلين بالمشاهدات [1] ، **فأول البُعد** ، البُعْدُ عن التَوْفِيقِ، ثُمَّ البُعْدُ عَنْ سُلُوكِ الطرِّيقِ ، ثُمَّ البُعْدُ عَنِ التَّحْقِيق .

وفي الحديث القدسي عن الله عز وجل يقول : « **مَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ الْمُتَقَرِّبُونَ بمثْلِ أَدَاء مَا افْتَرَضت عليهم ، ولا يزال العبد يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أُحبَّهُ ، فإذا أحْبَبْتُهُ كنت له سمعًا وبصراً** » [2] الحديث . وفي حديث آخر : « **فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُه** » فقرب العبد من ربه، انحياشُهُ إليه بقلبه . وَقُرْبُ الحَقِّ من عبده تغيبه عن وجودهِ الوهمي ، وكشف الحجاب عن عَيْنِ بَصيرَته حتى يرى الحقَّ أَقْرَب إليه من كل شيء ، ثم يغيب القُربُ في القرب ، فيتَّحِدُ القريب والمُقَرَّبُ ، وَالْمُحِبُّ والحبيبُ كما قال القائل [3] : « أنا من أهوى ومن أهوى أنا » .

وكما قال الششتري : « أنا المُحِبُّ والحبيبُ مَا ثَمَّ ثانٍ » [4] .

الشرِيعَةُ والحَقِيقَةُ وَالطَرِيقَةُ :

115 ـ الشَّرِيعَةُ : تكليفُ الظَّوَاهِر .

116 ـ والحقيقة : شُهُودُ الحَقِّ في تجليات المظاهر . فالشريعةُ أن تعبدهُ والطريقة أن تَقْصِدهُ، والحقيقة أن تَشْهَدَهُ، فَلَمَّا تجلى الحق بين الضدين فتجلى بمظاهر [5] عظمة الرُّبوبية في قوالب العبودية ، ظهرت الشريعة والحقيقة ، فشهود العظمة من

(1) وردت في ب : بصيغة الانفراد (المشاهدة ، الطاعة ، المجاهدة) .

(2) أخرجه البخاري في الصحيح من رواية أبي هريرة في كتاب الرقاق . باب التواضع حديث (6502) (ص :1639) وأول الحديث « **إن الله قال : من عاد لي وَلِيًّا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرَّبَ إلي عَبْدي بشيء أَحَبَّ إليَّ مما افترضتُ عليه وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل** ... » . الحديث .

(3) القائل هو : ذو النون بن إبراهيم المصري أبو الفيض . سبق ترجمته .

(4) انظر : كتاب نونية الشُشْتَري بتحقيق سامي النشار طبعة سنة (1960) .

(5) في ب : بمظهر .

حيث هي حقيقة ، والقيامُ بآداب القوالِبِ عبادةٌ وعبودية وشَرِيعَةٌ وأما :

117 ـ الطَّرِيقَــةُ : فهي إصلاح الضمائِرِ لتتهيَّأَ لإشراق أنوار الحقائق عليها . فالشـريعة لإصـلاح الظواهر ، والطريقة لإصـلاح الضمـائر . والحقـيقة لـتزيين السرائر. وَيُقَالُ : الشَّرِيعَةُ عينُ الحقيقة من حيثُ أنَّهَا وَجَبَتْ بأمره ، والحقيقة عَيْنُ الشريعة من حـيثُ أنَّهَا مُكَلَّفٌ بها من قِبَلِ الشَّرِيعَة ، وقـد تطلق عندهم الشريعة على كل ما يُتَـوَصَّلُ به إلى شيء ، أو يكون سَبَـبًا في إدْرَاكـه ، فَالأَسْبَـابُ كُلُّهَا شَرَائِع ، والمقاصِدُ كُلُّهَا حَقَائق ، فَالْحس شريعة الْمَعْنَى إذْ بِهِ قُبِضَتْ ، والمجاهدة شريعـة المشاهدة ، والذُّلُّ شريعـةُ العزِّ ، وَالْفَقْـرُ شَرِيعَةُ الـغِنَا وهكذا ، وَالْحَرْثُ وَالْغَرْسُ شَرِيعَـةُ جَنْيِ الثِّمَارِ ، ولذلك يقولون : من غَـرَسَ الشرائع ، أَثْمَرَتْ له الحقائق ، ومن غَرَسَ الحَقَائق ، أَثْمَرتْ له الشرائع ، أي أحوجته [1] إلى الرجوع للشرائع ، وفي ذلك يقول الشاعر :

ثِمَارَ مَا قَدْ غَرَسْتَ تَجْنِي وَهَـذه عَـادَةُ الزَّمَـان

118 _ 119 ـ / 27 / **الذَّاتُ والصِّفَـاتُ** : اعلَمْ أَنَّ الحَـقَّ جَلَّ جَـلالُهُ ذاتٌ وصفـاتٌ في الأزلِ وفي الأبَدِ أَعْنِي قَبْلَ التَّـجلِّي وبعده ، إذْ صِـفَاتُهُ قـديمةٌ بِقِدَمِ ذاته، والصفةُ لا تُفَارق الموصوف ، فحيث تجلَّت الذَّاتُ فالصفاتُ لازمَة لها كامنة فيـها ، وحيث ظـهرت الصِّفَـات فالذات لازمة لهـا ، فالذَّاتُ ظَاهِرَةٌ والصِّـفَاتُ بَاطِنَةٌ، والمُرَادُ بالصفات: صفاتُ المعَاني وسائر أوصاف الكمال ، فكل مَا وَقَعَ به التَجَلِّي والظهور، فهُوَ بين ذات وصفات . الذَّاتُ لا تُفَارق الصِّفَات ، والصِّفَاتُ لا تُفارقُ الذَّات ، وهذا التَّلازم الذي بينهمـا في الوجود هو الذي قصد من قال : الذَّاتَ عَيْنُ الصِّفَاتِ . أي مظهرهما واحـدٌ . كما قالوا : الحِسُّ عَيْنُ المعنى حيث اتَّحَدَ مظهرهما :

قال بعض المشارقة في بعض أزْجالِه :

يا واردَ العَيْنِ إن حققْتَ زَالَ الشَّكُّ الذات عينُ الصفات ما في المعاني شَكُّ

ولا يَصُدَّنَّكَ عن شهود الذَّات رِدَاءُ الحِسِّ المنشور على وجه المعاني ، فَإِنَّ هَذا

---

(1) في ب : أخرجته .

الأَمْـرَ مِنْ [1] مَدَارِكِ الأذْوَاقِ والوجدانِ ، لا من طريق دليـلِ العقلِ والبرهانِ ولله دَرُّ ابن الفارض حيث يقول :

فَثَمَّ وراءَ العقل علم يدق عن مدارك غاية العقول السليمة

واعلم أن الذّات لا تتجلّى إلا في مظاهر أثر الصِّفات إذْ لو تَجَلَّتْ بِلا وَاسِطَة لاضْـمَحَلَّـتْ المُكَوَّنَاتُ وتَلاشَتْ ولذلك يقـولون : تجلّي الذات جـلالي ، وتجلي الصفات جمالي لأنَّ تجلي الذات بلا واسطة يُمْـحَقُّ ويُحْرَقُ ، كما في الحديث . وتجلي الصفـات يكون بالأَثَرِ ، فيكون مـعه الشهـود والمعرفـة فهو جـمالي ، ثم توسعوا فـأطلقوا على كُلِّ ما هو جَلالِي ذات ، وعلى كل ما هو جمـالي صفات على سَبِيل التَّشْـبيه ، فقالوا : الفقـر ذات ، والغنى صفاتٌ ، الذُلُّ ذَاتٌ ، والعزُّ صِفَاتٌ ، الصَّـمْتُ ذَاتٌ ، والكَلامُ صِفاتٌ وهكذا [2] ، وهذا الاصطلاح ذكـره شيخ شوخنا سيدي عَلِي الْجَمَلِ [3] العمراني ﷺ في كتابه ولا أدري هل سُبِقَ به أم لا ؟ .

الأَنْوَارُ والأَسْرَارُ :

120 ـ الأنوار : عبارة عما ظَهَرَ من كَثَائفِ التَّجَلِّيَات .

121 ـ والأسـرار : عبارةٌ عما بَطن فيها من المعاني اللطيفة . فالأسرار أَرَقْ من الأنوار . فالأسرار لِلذَّاتِ ، والأنـوارُ للصِّفَاتِ لأَنَّهَا أَثَرُهَا ، فالذات بـعد التجلي بين أنوار ظاهرة وأسرار باطنة . وأما في حال الكَثْرية فـما كان الأسرار فالجبروت كله أسرار ، والملكوت أنوار ، والمُلك أغْيَارٌ وَأَكْـدَارٌ ، فالوجودُ واحدٌ ، فمن نَظَرَ إلى باطنه لم يَرَ إلا الأسرار ، ومن نظر إلى ظاهره بعين الجمع لم ير إلا الأنوار ، ومن نظر بعين الفرق لم ير إلا الأغيار . جمع غـير بالسكون ، ومن شغله التوجه

(1, 2) سقطت من : ب .

(3) هو أبو الحسن علي بن عـبد الرحمن العمـراني الملقب بالجمل وهو شيخ سيـدي العربي الدرقاوي توفي سنة (1194هـ) . ترجم له في : الروضة المقصودة (2 / 469 _ 470) ، سلوة الأنفاس (1 / 358 - 360) طبقات الشاذلية الكبرى (ص141) ، شجرة النور الزكية (1 / 515) بتعليقنا .

إلى الله بِتَشْغِيبه وأَهْوَالِه ، كان في حقه أَكْدَارٌ ، وإنَّمَا سُمِّيَتْ تَجلِّيَاتُ الحق أنوارًا على وجـه / 28 / التشبيه ، لأن شأن النَّور أن يكشف الظُّلْمة ويُذْهِبَهَا وكذلك تَجَلِّي الحق ، يكشف عن ظُلْمةِ الْجَهْلِ وَيَظهر العلمُ به ، ولذلك قالوا : « العلْمُ نورٌ والجهل ظُلْمَةٌ على وجه الاستعارة» . وأمَّا السِّرُّ فهو الأَمْرُ الخَفِيُّ الذى لا يُدْرَكُ، فلذلك قَالُوا فى حق الخمرة الأزلية والمعاني القديمة: أسرارًا ؛ وسمُّوا أيضًا الأرواح بعد التصفية أسرارًا؛ لأنها لَمَّا تَصفَّتْ رَجَعَتْ لأصْلِهَا ، وهي قطعة من السِّرِّ الجَبَرُوتي القديم. فإذا استَوْلَت على الأَشْبَاحِ رجع الجميعُ قديما ، والله تعالى أعلم . وأما الضمائرُ والسَّرائر فقيل :معناهما واحد ، وقيل: السرائر أرق وأصفا، كما أنّ الروح أرق من القلب ؛ لأن الضمائر كل ما خفي في الباطن خيرًا أو شرًّا، والسَرَائِر ما كَمُن فيه من المحاسن ، والتحقيق أنهما شيء واحد ، عبارة عمَّا كَمُنَ في الباطن من العقَائدِ والنيات بدليل الآية ﴿ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴾ [1] والله تعالى أعلم .

122 ـ النَّفَسُ : بالتحريك [2] ، قال القشيري : « يعنون به ترويح القلوب بلطائف الغيوب ، فصاحب الأنفاس أرفع [3] من صاحب الأحوال ومن صاحب الوقت ، فكان صاحب الوقت مبتديًا ، وصاحب الأنفاس منتهيًا ، وصاحب الأحوال بينهما ، فالأوقات لأصحاب القلوب ، والأحوال لأرباب الأرواح ، والأنفاس لأهل السرائر » [4] . انتهى .

قلت : النَّفَسُ أدقَ من الوقت ، فحفظ الأوقات من التضييع لِلْعُبَّادِ والزّهاد ، وحِفْظُ الأنفاسِ للعارفينَ الْوَاصلينَ ، واستعمال الأحوال للمريدين ، والمراد بحفظ الوقت : حضور القلب . وبحفظ النفس: حضور السر [5] فيه في مشاهدة الحق، يُقال : [فلان طابت أَوْقَاتُهُ إذا وجد حلاوة معاملته بحضور قلبه] [6]، وفلان

(1) سورة الطارق آية (9) .
(2) في ب : بالفتح .
(3) في الرسالة : أرق (ص : 83) .
(4) الرسالة القشيرية : (ص : 83) .
(5) في : ب : الستر في .
(6) ما بين المعقوفتين سقط من : ب .

طَابَتْ أنفاسُه . إذا صَفَا مَشْرَبُهُ من عين التَّوْحيدِ من كَدَرَاتِ الأغيار . فقوله في حَدِّ النفس ترويح القلوب ، أي خروجها من تعب العسَّةِ ، ودوام المراقبة إلى راحة المشاهدة بما يبدو لها من لطائف أسرار التوحيد وفضاء الشهود . ثم قال: القُشيري وقالوا : « أفضل العبادة حِفَظُ الأَنْفَاسِ»[1] ، أي دوام الفكرة والنظرة كما قال الشاعر :

من أحسن المذاهب سُكْرٌ على الدّوام وَأَكْمَلُ الرَّغائب وَصْلٌ بلا انْصِرَام

قال أبو علي الدقاق : « العارف لا يَسْلَمُ لَهُ النَّفَس . أي تضييعه إذْ لا مسامحة تجري معه ، والمحِبُّ لا بُدَّ له من النفس ، إذْ لولا ذلك لتلاشى»[2]. لعدم طاقته . ا . هـ

فالعارف لَمَّا اتسَعَتْ عليه مَعْرِفَتُهُ ، سَهُلَ عليه حِفْظُ أَنْفاسه لسُهُولَة حُضُوره وتَمكُّنِ شُهُودِهِ ، بِخِلاف المُحِبِّ فَلضِيْق حَالِه لا يستطيع دَوَامَ حضُوره في خدمَتِه ، وعلى تقدير سهولتها عليه لفنائه فيها ، قد تختل بَشَرِيَّتُهُ ؛ ولذلك قال عليه السلام : « **رَوِّحُوا قُلُوبَكُمْ بِشَيءٍ منَ المُبَاحِ** » [3] أو كما قال ﷺ . وقال /29/ لحنظلة والصديق : « **لو تدومونَ كما تكونون عندي لَصَافَحَتْكُم الملائكة ، ولكن ساعة بساعة** » [4] .

123 - 124 ـ الْفِكْرَةُ وَالنَّظْرَةُ :

الفِكْرَةُ : جَوَلانُ القلب في تَجَلِّيَات الرب . وقال في الحِكَم : « هي سير القلب في ميادين الأغيار » [5] . وهذه فكرة الطَّالِبِينَ ، وفكرة السائرين سَيْرَ القلب في ميادين

(1) في الرسالة : « أفضل العبادات عَدُّ الأنفاس مع الله سبحانه وتعالى » (ص :83) .
(2) الرسالة : (ص :83) . وهنا ينتهي كلام : « أبو علي الدقاق » .
(3) الوارد في هذا حديث : « رَوِّحُوا الْقُلُوبَ سَاعَةً وَسَاعَةً » . انظر تخاريجه في المقاصد الحسنة للسخاوي (ص: 275) رقم (530) .
(4) أخرجه مسلم في حديث طويل من رواية حنظلة الأسيدي كتاب التوبة . باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة والمراقبة وجواز ترك ذلك في بعض الأوقات والاشتغال بالدنيا حديث (2750) (ص:1427) .
(5) الحِكَم العطائية (ص: 150) رقم (262) .

الأنوار ، وفكرة الواصلين سَيْرَ الرُّوحِ في ميادين الأسرار، وترجع إلى فِكْرَتَيْنِ : فكرة تصديق وإيمان وهي لأهل الاعتبار من عامة أهل اليمين ، وفكرة شهود وعيان وهي لأهل الاستبصار من نجباء المُرِيدينَ ، وخاصة العَارِفين المُتَمَكِّنين وهي سراج القلب . فإذا ذَهَبَتْ فلا إِضَاءَةَ لَهُ ، وهي سبب الفناء الأكبر، وبها يَتَحَقَّقُ السَّيْرُ ويَحْصُلُ الوصول، فَمَنْ لا فِكْرَةَ لَهُ ، لا سَيْرَ لَهُ ، ومن لا سَيْرَ لَهُ لا وُصَولَ لَهُ ، وكان شيخنا البُوزيدي[1] رضي الله عنه يقول : « الفقير بلا فكرة ، كالخياط بلا إبرة » . ا . هـ .

وأما النظرة فهي أَرَقُّ من الفكرة وأرفع ؛ لأنها مبدأ الشهود بالجولان في الأكوان ، وهدمها وتلطيفها فكرة ، والنظر في نفسه [أو غيره من التجليات] [2] وغيبته عنها بشهود الحق نظرة ، فإذا تَمكَّنَ من الشهودِ وَدَامَ فيه سُمِّيَ العُكوف في الحَضْرَةِ ؛ ولذلك يُقالُ : « أول المقامات ذكر ، ثم فكرة ، ثم نظرة ، ثم عكوف في الحضرة » . والله تعالى أعلم .

125 ـ الشَّاهدُ : قال القشيري :« قد يجري في كلامِهِمْ فلان بِشَاهِدِ العِلْم، وفلان بشاهدِ الوُجْدِ ، وفلان بشاهدِ الحَالِ ، ويريدون بلفظ الشاهد : ما يكون حاضر قلب الإنسان ، وما هو غالب ذكره ، كأنه يراه ويُبْصِرُهُ ، وإن كان غائبًا عنه ، وكل ما يستولي على [قلب] [3] الإنسان ذكره فهو شاهد ، فإن كان الغالب عليه [ذكر] [4] العلم فهو بشاهد العلم ، وإن كان الغالب عليه الوُجْدُ فهو

---

(1) هو محمد بن أحمد البوزيدي الغماري الحسني كان صوفيًا مطلعًا خيّرًا دينا من أكبر تلامذة الشيخ العربي الدرقاوي توفي سنة (1229هـ) . ترجم له في إتحاف المطالع (112/1) .

قال ابن عجيبة في فهرسته : « فلما قبضت الوِرْدَ من شيخنا البوزيدي رضي الله عنه لبِسْتُ جَلاَّبَةً غليظة من جلاليب أبي نداف ، كانت لبعض أصحابنا . فلما رآني الشيخ بها فرح فرحًا شديدًا وتحقق أنه سيفتح على فى أسرار الحقائق » الفهرسة (ص:53) .

(2) ما بين المعقوفتين سقط من : أ .

(3) ما بين المعقوفتين سقط من : ب .

(4) ما بين المعقوفتين سقط من : أ ، والزيادة من : ب.

بِشَاهـد الوُجْد » (1) . ومعنى الشاهد الحاضر ، فكل مـا هو حَاضِرُ قلبكَ فَهُوَ شاهدُكَ . ا . هـ.

126 _ 127 _ 128 ـ الْخَمْرَةُ والْكَأسُ والشّرَابُ :

ـ **أمَّــا الخـمــرةُ** : فقـد يطلقـونها على الذَّات العَلِيَّـة قبل التَّـجَلِّي ، وعلى أسرارها(2) القائمة بالأشياء بعد التجلي فيقولون : الخمرةُ الأزليةُ تَجَلَّتْ بكذا ، ومن نعتها كذا ، وقامت بها الأشياء ، تَسَتُّرًا على سرِّ الرّبوبية ، وعليها غَنَّى ابنُ الفارض في خمريته . وإنما سَمَّوْهَا خمرة ؛ لأنهـا إذا تَجَلَّتْ للقلوب غابت عن حسِّـهَا كمـا تغيب بالخـمرة الحسـية ، وقد يُـطْلقُونَهَا على نفس الـسكر والوجد والوُجْدَان . يقولون: كنا في خَمْرَةٍ عظيمة ، أي في غـيبة عن الإحساس كبيرة ، وعلى هذا غَنَّى الشُّشْتَـرِي حيث قال : خَمرها دون خمـري ، خمرتي أزلية (3). أي سكر خمرة الدَّوَالِـي دُونَ خَمْرَتي . وأما الكأس الذي تشرب مـنه هذه الخمرة فهو كناية عن سُطوُعِ أنوار التجلي على القلوب عند هَيَجَانِ المحبَّة . فَتُدْخِلُ عليها حلاوة الوُجْدِ حتى تغيبت . وذلك عند سماع أو ذكرٍ / 30 / أو مُذَاكرةٍ.

وقـــيل : الكأس هو قلب الشيخ ، فَـقُلُوبُ الشيوخ العـارفينَ كِيسَانٌ لهذه الخمرة، يسـقونها لمن صَحِبَهُمْ وأَحَـبَّهُمْ . والشُّرْبُ حُضُورُ القلب ، أو استـعمال الفكرة والنظرة حـتى تغـيب عن وجـودك في وجوده ، وهو السـكر . فالشـرب والسُّكر متصلان في زمن واحد في هذه الخمرة بخلاف خمرة الدنيا .

وقال(4) القطب ابن مشيش : المحَبَّةُ آخِذَةٌ منَ الله قَلْبَ مَنْ أَحَبَّ بمَا يُكْشفُ لَـهُ مـن نـور (5) جمـاله وقُدْسِ كمال جَـلاله ، وشرابُ المحبَّة مَـزْجُ الأوصاف بالأوصـاف والأخـلاق بالأخـلاق ، والأنوار بالأنوار ، والأسـماء بالأسـمـاء ، والنعـوت بالنعوت، والأفـعال بالأفـعال ، ويتـسع النظر لمن شاء الله عـز وجل. والشراب(6) بسقي القلوب والأوصال والعروق من هذا الشراب، ويكون الشرب،

(1) الرسالة القشيرية (ص:86) .
(2) في ب : الأسرار .
(3) في ب : أزليًا .
(4) فراغ في : ب .
(5) في أ : أنور . أثبتنا ما في : ت .
(6) في : ب : والشرب

بالتدريب بعد التدريب والتهذيب ، فيسقى كل على قدره ، فمنهم من يُسْقَى بغير واسطة والله تعالى يتولى ذلك منه .

قلت : وهذا نادرٌ . ومنهم من يُسْقَى من جهة الوسائط ، كالملائكة والعلماء والأكابر من المقرَّبين . ثم قال : « وَالْكَأْسُ معرفة الحق يغرف بها من ذلك الشراب الطهور المَحْضِ الصَّافي لمن شاء من عباده المخصوصين . . . إلخ كَلامِهِ . وقد فَسَّرْنَاهُ في شرح الخمرية (1) .

ـ المُرِيدُ والفَقِيرُ والمُلامِتي والمُقَرَّبُ :

129 ـ أمـا المريدُ : فهو الذى تَعَلَّقَتْ إرادتُهُ بمعرفة الحق ، ودخل تَحْتَ تربية المشايخ وقد تقدَّم .

130 ـ وأما الفقيرُ : فهو الذى افتقر ممَّا سوَى الله ، ورَفَضَ كل ما يُشْغِلُه عن الله، ولذلك قالوا : الفقيرُ لا يَمْلِكُ وَلَا يُمْلَكُ . أي (2) لا يَمْلكُ شيئًا ، وَلاَ يَمْلكُهُ شيءٌ . فهو أنهض من المريد وأخصّ ؛ لأنَّ المُرِيدَ قَدْ يَكُونُ من أهل الأسباب ، وقيل : الفقيرُ هو الَّذى لا تُقلُّهُ الأرض ولا تُظلُّهُ السماء ، أي لا يحصره الكون لرفع همَّته ونَفوذ (3) بصيرته . وقال بعضهم : شروط الفقير أربعة: رَفْعُ الهِمَّة ، وحُسْنُ الخِدمَة ، وتَعظيمُ الحُرْمَة . ونُفُوذُ العزيمة (4) .

131 ـ وأما المُلامتي فقالوا : هو الذي لا يُظهر خيراً ولا يُضْمِر شرّاً ، أي هو الذي يُخفي ولاَيَتَهُ ، ويظهر من الأحوال ما يُنفر [الناس عنه] (5) .

132 ـ والمُقَرَّبُ : هو المحقق بالفناء والبقاء .

قال بعضهم : الفقر ، والملامتة ، والتقريب ، أنواع من التصوف ومراتب

---

(1) شرح الخمرية لابن الفارض كتاب مطبوع ضمن آخر مجموع لابن عجيبة جمعه الأستاذ العمراني الخالدي عبد السلام يبتدأ من (ص:106) إلى (150) .

(2) سقط من : ب .

(3) في ب: نفذ .

(4) ب : العزمة .

(5) ما بين المعقوفتين في ب : منه الناس .

فيه. فَإِنَّ الصُّوفِيَّ هو العاملُ فِي تصفية وَقْـتِهِ مِمَّا سوى الله ، فإذا سقط ما سوى الحق [1] من يده فهو الفقير ، وإن كان لا يبالي بالناس ، ولا يُظهر خيراً ، ولا يُضمرُ شرّاً ، فهو الملامتي .

والْمُقَـرَّبُ من كَـمُلَتْ أَحْوَالُهُ ، فـكان بِرَبِّهِ لِرَبِّهِ ، وليس له عن سـوى الحق إخبار ، ولا مع غير الله قَرَارٌ . ا . هـ .

133 ـ 134 ـ 135 ـ العُبَّـادُ والزُّهَّادُ وَالعَـارِفُونَ : هذه ألفاظ معانيـها مُتَقَارِبَةٌ ، يجمـعها معنى التصوُّف في الجـملة الذي : هو التوجـه إلى الله تعالى ، إلا مَنْ غَلَبَ عليـه / 31 / العملُ كَانَ عَابِدًا ، ومن غَلَـبَ عليه الترك كان زاهدا ، ومن وصل إلى شهود الحق وَرَسَخَ فيه [2] كان عَارِفًا.

فالعُبَّـاد والزُّهَّادُ شَغَلَهُمْ بِخِدْمَتِهِ إِذْ لَمْ يَصْلُحُـوا لِصَرِيحِ مَعْرِفَتِـهِ ، والعارفون شَغَلَهُمْ بمحبته [3] .

﴿ كُلاًّ نُمِدُّ هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً ﴾ [4] .

الصَّالِحُونَ، وَالأَوْلِيَاءُ والبُدَلاء، والنُّقَبَاء والنُّجَبَاء، وَالأَوْتَادُ ،وَالأَقْطَابُ [5]:

136 ـ أمـا الصـالحـون : فَهُمْ مَـنْ صَلُحَتْ أعْمَالُـهُم الظاهرة ، واستـقامَتْ أحوالُهُمُ الباطنة .

137 ـ وأما الأولـياءُ : فهم أهلُ العلم بالله على نعت العـيان [منَ الولي وهو القرب] [6] وقيل : من تَوَالَتْ طَاعَتُهُمْ ، وتَحَقَّقَ قُرْبُهُمْ واتصل مَدَدُهُمْ .

138 ـ وأمـا البُـدَلاء : فهم الذين استبدلوا المسـاوئ بالمحاسن واستبدلوا من[7] صفاتهم صفات محبوبهم .

---

(1) في ب : الله .
(2) سقط من : ب .
(3) في : أ . بمعرفته . التصويب من : ب .
(4) سورة الإسراء ، آية : (20) .
(5) في أ : القطب : التصويب من : ب .
(6) ما بين المعقوفتين في ب : يعني الولي وهو المقرب .
(7) سقط من : ب .

139 ـ **وأما النُّقَبَاءُ** : فهم الذين نقبوا الكون وخرجوا إلى فضاء شهود المُكَوِّنِ .

140 ـ **وأما النجباء** : فهم السابقون إلى الله لنجابَتِهِمْ وهم أهل الجِدِّ والقريحة من المريدين .

141 ـ **وأما الأوتاد** : فهم الرّاسخون في معرفة الله وهم أربعة ، كأنهم أوتاد لأركان الكون الأربعة .

142 ـ **وأما القطب** : فهو القائم بحق الكون ، والمُكوِّن وهو واحد . وقد يُطلق على من تَحَقَّقَ بمقام وعلى هذا يتعدَّدُ في الزمان الواحد أقطاب في الأحوال والمقامات والعلوم ، يُقال : فُلانٌ قُطْبٌ في العلوم ، أو قطب في الأحوال ، أو قطب في المقامات ، إذا غلب عليه شيء منها ، فإذا أريد المقام الذي لا [1] يتصف به إلا واحد ، عُبِّرَ عنه بالغوث وهو الذي يصل منه المدد الروحاني إلى دوائر الأولياء من نجيب ونقيب ، وأوتاد وأبدال . [وتقدم أن الأفراد خارجون عن دائرته] [2] وله الإمامة والإرث والخلافَةُ الباطنة ، وهو روح الكون الذي عليه مَدَارُهُ كما يشير إلى ذلك كونه بمنزلة إنسان العين من العين ، ولا يعرف ذلك إلا مَنْ لَهُ قِسْطٌ ونصيب من سِرّ البقاء بالله .

وأما تسميته بالغَوْثِ ، فَمِنْ حيث إغَاثَتُهُ العَوَالِمَ بمادَّتِهِ وَرُتْبَتِهِ الخاصة ، وله علامةٌ يُعْرَفُ بها .

قال القطب الشهير **أبو الحسن الشاذلي** [3] رضي الله عنه : للقطب خمس عشرة علامات فَمَن ادّعاها ، أو شيئًا منها ، فليبرزْ بِمَدَدِ الرّحمة والعِصْمَةِ والخلافة والنيابة ، ومدد حَمَلة العرش العظيم ، ويكشف له عن حقيقة الذّات ، وإحاطة

---

(1) سقط من : ب .

(2) ما بين المعقوفتين سقط من : ب .

(3) هو علي بن عبد الله بن عبد الجبار أبو حسن الشاذلي ولد بغمارة بالمغرب عام (593 هـ) شيخ الطريقة الشاذلية وشاذلة قرية بتونس توفي رحمه الله سنة (656 هـ) . ترجم له في طبقات الشاذلية الكبرى لمحيي الدين الطُّعْمي (ص: 173 ، 174) ، وجامع الكرامات العلية لأبي علي الحسن الكوهن (ص: 19 _ 59) .

الصفات ، ويُكْرَم بالحُكْمِ ، والفصل بين الوُجودَيْنِ ، وانفصال الأول عن الأول وما انفصل عنه إلى منتهاه ، وما ثبت فيه ، وحُكْمُ ما قبلُ ، وحُكْمُ ما بعد ، وما لا قبل ولا بعد ، وعلم البدء وهو : [العلم][1] المحيط بكل علم وبكل معلوم وما يعود إليه . ا . هـ .

فَالْعَلامَةُ الأولى : أن يكون متخلقًا بأخلاق الرّحمة على قَدَمِ مَوْرُوثه ﷺ /32/ [صاحب حِلم][2] ورَأْفَةٍ وشفقةٍ وعَفْوٍ وعقل ورَزَانَةٍ وجُود وشجاعة كما كان مَوروثه ﷺ .

والعلامةُ الثَّانيةُ : أن يُمَدّ بِمَدَدِ الْعِصْمَةِ وهي الحفظ الإلهي ، والعصمة الربانية كما كان موروثه ﷺ غير أنها في الأنبياء واجبة . وفي الأولياء جائزة . ويُقال : لَها الحِفظ . فلا يتجاوز حدًا ولا ينقض عهدًا .

والثالثة : الخلافة ،وهو أن يكون خليفة الله في أرضه أمينا على عباده بالخلافة النبوية ، قد بايعته الأرواح وانْقادَتْ إليه الأشباح .

والرابعة : النيابَةُ ، وهو أن يكون نائبًا عن الحق ، في تصريف الأحكام حسبما اقتضته الحكمة الإلَهيَةُ وفي الحقيقة ما ثَمَّ إلا القدرة الأزلية .

والخامسة : أن يَمَدَّ بِمَدد حَمَلَةِ العرش من القوة والقرب ، فهو حامل عرش الأكوان ، كما أن الملائكة حاملة عرش الرحمن .

والسادسة : أن يُكْشَفَ له عن حقيقة الذات ، فيكون عارفًا بالله معرفة العيان. وأما الجَاهِلَ بالله فلا نصيب له في القُطْبانية .

والسابعة : أن يُكْشَفَ له عن إحَاطَة الصِّفَات بالكائنات فلا مُكَوّن إلا وهو قائم بالصفات وأسرار الذات . ومعرفة القطب بإحاطة الصّفات ، أتمُّ من غيره لأنَّها في حقه ذوقية لا علمية .

والثامنة : أن يكرم بالحكْم والفَصْل بين الوجودَيْن أي بين الوجود الأول قبل التجلّي وهو المعبَّر عنه بالأزل وبالكنز القديم ، وبين الثاني الذي وقع به التَّجَلّي

---

(1) ما بين المعقوفتين سقط من : أ ، الزيادة من : ب .

(2) ما بين المعقوفتين سقط من : ب .

والفصل بينهما أن يُعْلَمَ أن الأول ربوبية بلا عبودية ،ومعنى بلا حسٍّ ، وقدرة بلا حِكْمَة بخلاف الثاني فإنه متصفٌ بالضِّدَّيْنِ ، ربوبية وعبودية، معنى وَحِسًّا قدرة وحِكمة؛ ليتحقق فيه اسمُهُ الظاهر واسمه الباطن فالضدّانِ مختصان بالقبضة المتجلي بها ؛ وأما العظمة المحيطة بها الباقية على كَنْزيتها فهي باقية على أصْلِهَا فَافْهَمْ .

التاسعة والعاشرة : أن يُكْرِمَ بالحُكْم بانفصال الأول عن الأول ، والمراد بانفصال الأول ، انفصال [1] نور القبضة عن النور الأزلي الكَنْزي وهو بحر الجبروت . والمراد بما انفصل عنه ما تفرّع من القبضة إلى منتهاه من فروع التجليات؛ أي في الحال . وأما في المآل فلا انتهاء له ؛ لأن تجليات الحق لا تنقطع أبدًا ، فإذا انقضى هذا الوجود الدنيوي ، تجلى بوجوده آخَرَ أُخْروي ، ولا نهاية له .

الحادية عشرة [2] : أن يعلم ما ثبت في المنفصلات من المزايا أو الكرامات أو ضد ذلك ، يعني في الجملة . وأما التفصيل فمن خصائص الربوبية .

الثانية عشرة : [أن يعلم] [3] حُكْم ما قبل ، أي ما قبل التجلي وَحُكْمُهُ هو التنزيه المطلق ؛ لأنه باق على كَنْزِيَتِهِ لم تدْخله الضِدَّان .

الثالثة عشرة : أن يعلم حُكم ما بَعْد وهو التكليف / 33 / في مظاهر التعريف قيامًا برسم الحكمة وسترًا لأسرار القدرة .

الرابعة عشرة : أن يعلم ما لا قبل ولا بعد ، أي يَعْلَمُ ما لا قَبْلَ لها ولا بَعْد لها وهي الخَمْرَةُ الأزلِيّة والذات الأصلية كما قال ابن الفارض :

فلا قَبْلَهَا قَبْلٌ ولا بَعْدَهَا بَعْدٌ وَقَبْلِيةُ الإبْعاد هي لها ختم

الخامسة عشرة : أن يَطّلِع على عِلْم البَدْء ، والمراد عِلْمُه تعالى السابق للأشياء قبل أن تكون، وهو العلم المحيط بكل علم وبكل معلوم، إذ لا يخرج عن علمه تعالى شيء ، وكل علم وكل معلوم يعود إليه، وهذا هو سِرُّ القدر [4]. فقد

(1, 2) سقط من : ب .
(3) ما بين المعقوفتين سقط من : ب .
(4) في ب : القدرة .

يكاشف القطبُ على وجزئيات منه ولا يشترط إحاطته بكلية الأشياء وجزئياتها؛ لأن ذلك من وظائف الرُّبُوبيَّةِ ، وإنما يَطَّلِعُهُ الله تعالى على جُزْئيَاتٍ من نوع مخصوص ، وقد أشار الشيخ أبو العباس المرسي ﷺ إلى شيء من ذلك فقال : « ما من ولي الله كان أو هو كائن إلا وقد أطلعني الله عليه وعلى اسمه ونسبه [1] وحظه من الله تعالى » .

وقال آخر : ما من نُطْفَةٍ تَقَعُ في الأرْحام إلا وقد أطلعَني الله عليها . وما يكونُ منها من ذكر أو أنثى ، وهذا من جملة الكرامات التي أتحف الله تعالى بها بعض أوليائه ، وقد يكون قُطبًا كَامِلا وهو لم يطلع على [شيء من] [2] هَذه الأمُور ، إلا أنه عارف بالله . راسخ القدَمِ في المعرفة وإذا أراد الله تعالى أن يُظهر شيئًا في مَمْلَكَتِه أطلعه عليه وقد لا يُطلعُهُ . وقد قال عليه السلام : « **والله إني لا أَعْلَمُ إلا مَا عَلَّمَني ربِّي** » . قال ذلك حين ضَلَّتْ ناقَتُهُ فلم يَدْرِ أين ذهبْت ، فتكلَّمَ بعض المنافقين في ذلك . ثم أَعْلَمَهَ الله تعالى بها .

وبالجُملة فالاطلاع على المُغَيَّبَاتِ من جُملَةِ الكَرَامَاتِ وهي لا تشترط في الولي قُطْبًا كَان أو غيره . والله تعالى أعلم . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم هذا آخر ما جمعناه من حقائق التصوف وشرح ما يتعلق بكل حقيقة جعله الله خالصًا لوجهه الكريم وأدام به النفع العميم .

---

(1) في ب : نفسه .

(2) ما بين المعقوفتين سقط من : ب .

كشف النقاب

عن سر لب الألباب

للشيخ

عبد الله أحمد بن عجيبة

ت: 1224 هـ

تقديم وتحقيق

د. عبد المجيد خيالي

مركز التراث الثقافي المغربي

الدار البيضاء

مقدمة التحقيق

كتاب كشف النقاب عن سر لب الألباب

هو رسالة صغيرة لابن عجيبة تحدث فيها عن **الطلسام** الذي يسمى بالكنز الذي سُتِرَ وَحُجِبُ غيبه عن الإنسان وهو ثلاثة أنواع.

1 ـ طلسام توحيد الأفعال : بأن فعل العبد كله لله تعالى وهو سرٌ من أسرار الألوهية أخفاه الله عن عبده وجعل له اختياراً في الظاهر لتقوم به الحُجَّةُ عليه ، وهذا السرّ الذي ستره الله لا يصلح للعبد أن يحتج به لنفسه فيترك العمل أو يعمل بالمعاصي فيقول:ما قَدَّرَهُ الله علي فهو مُقَدَّر خيراً أو شرًا فيتكل . فالعمل واجب وكل خَلْقٍ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ له .

2 ـ طلسام توحيد الصفات : بمعنى أن صفات الإنسان التي هي السمع والبصر والإرادة والكلام . . . . شبيهة بالصفات الإلهية إلا أن الصفات البشرية صفة ناقصة وحادثة وصفات الله تعالى صفات قديمة وكاملة .

3 ـ طلسام توحيد الذات : ويسمى بعالم الحكمة وعالم الأثر وعالم الأشباح .

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

وبعـد : فهذا تقييد عجيب يرفع حجاب الوهم عن الحاذق اللبيب ، يتضمن رفع الحجب عن السر المصون وزوال الطلاسم عن الكنز المدفون . وسميته :

كشف النقاب عن سر لب الألباب : وهذا أوله والله المستعان.

اعلم أن الحق جَلَّ جَلاَلُهُ أودع في هذا الآدمي أسرار ذاته وصـفاته وأفعاله ، لكن حجب ذلك عنه بحكمته وقهـره ، فجعل على كل واحد من الأسرار الثلاثة طَلْسَامًا وحِجَابًا مستوراً ، فستر ذلك السر عن العبد بسبب الطلسام الذي غشي به قلبه **طلسام توحيد الأفعال** .

اعلم أن فعل العبد كله من الله ، بل لا فَاعِلَ فِي الوُجُودِ سِواهُ . قال تعالى: ﴿**وربُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ**﴾ [1] وقال تعالى : ﴿ **إنَّ ربَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ**﴾ [2] .

وقـال : ﴿**وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ** ﴾[3] ، ﴿**وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَـا يُرِيدُ**﴾ [4] . ثم إن الحق جَلَّ جَلاَلُـهُ جعل على [5] قلب العبـد طلساما غشى به نور توحيـد الأفعال ، وهو ما جعل له من الاخْتِيَـارِ في الظَّاهِرِ ، فَتَوَهَّمَ أنه مُخْتَارٌ إن شاء فَعَلَ ، وإن شَـاءَ تَرَكَ ، وهذا يُحِسُّ به كل عاقِلٍ من نفسه حتى يُفَرِّقَ بَيْنَ حَرَكَةِ الارْتِعَاشِ وغيرها: ولذلك قيل في الجبرية: أنهم قوم بُلْهٌ ، حيثُ لم يفرقوا بينهما ، وهذا هو [6] المسمى بالكسب عند أهل السنة ، وبالحكمة عند

(1) سورة القصص : آية (68) .
(2) سورة هود : آية (107) .
(3) سورة الصافات : آية (96) .
(4) سورة البقرة : آية (253) .
(5) مستدركة على الهامش في : ب .
(6) مستدرك على الهامش في : ب .

الصوفية، فيقولون : القُدْرَةُ تَبْـرُزُ والحكْمَةُ تَسْتُر وبسبب هذا الاختيار [الظاهر] (1) جَاءَتِ الشَّرَائِعُ وعليه يَتَـرَتَّبُ الحِسَابُ من الثواب والعقَاب . وفي حَقِـيقَة الأَمْرِ لا فَاعِلَ إلا الله ، لكن هذا سِرٌّ من أَسْرَارِ الأُلُوهيَّة أخـفاه الله عن عبده ، وجعل له اختيارًا في الظَّاهِرِ لِتَقُومَ بِهِ الحُجَّةُ عَلَيْه (2) . ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ ﴾ (3) وهذا السرُّ الذى سَـتَرَهُ الله لا يَصْلُحُ لِلْعَبْـدِ أَنْ يَحْتَجَّ بِهِ لِنَفْسِـهِ فيترك العـمل أو يَعْمَلَ بِالمَعَـاصِى؛ لأَنَّ العَمَلَ مَطْلُوبٌ من نَاحِـيَةِ الشَّـرِيعَةِ ، وهى إِنَّمَـا تَعَلَّقَت بِالظَّوَاهِرِ وهذا الطَّلْسَام يغلظ ويرق بقدر رِقَّة الحِجَاب وكَثَـافَتُهُ ، فإذا غَلُظ الحِجَابُ كَثُرَ في العبدِ التَّدبيرُ والاختيارُ ، حتى رُبَّمَا يجزِم أنه الفاعل المختار كما توهمت المعتزلة .

وإذا ضَعُفَ الطَّلْسَـامُ ورقَّ الحجابُ ، قَلَّ تَدْبيـرُهُ واختيارُهُ وَانْعَـزَلَ من حَوْلِهِ وَقوَّتِهِ ، فإذا اتصل العبدُ بِشيخ التربية ، عزله عن اختيار نَفْسه وأمره بتحكيمه على نفسه فى أمورِهِ كُلِّهَا ، فيقفُ عند أمـرِهِ ونَهْيِه ، فَإِذَا حَصَلَ لَهُ الفَهْمُ عَنِ الله وَصَارَ يفقهه قلبـه في الأُمورِ حكم الله على نفسه ، وانعزل عن تدبيـره واختياره ، وإذا وقع منه التدبيرُ والاخـتيارُ كان بالله ومن الله وإلى الله محلول فـيه يدبر وينظر ما يفعل ، فحينئـذ ينكسر عنه الطَّلْسَامُ عن توحيد الأفعال ، فيـرى الأفعال كلها من الله ذوقًا وكشفًا لا علمًا فقط، فيدخل حينئذ (4) فى السبعين ألف الَّذين يدخلون الْجَنَّةَ بغـير حسـابٍ ؛ إذا لم يبق له فعل يُحَـاسَبُ عليه ، بخـلاف غيـره ؛ فَإِنَّهُ لِكَثَافَةِ حجابه ينسب الفعل لنفسه أو لغيره ، وعلامته أنه ينقص رجاؤه عند وجود الزلل ، ويقوى عند وجود العمل . ويغضب على (5) من أذاهُ ، مع أَنَّهُ يَعْتَقِدُ أنه لا فَاعِلَ إلا الله وأن العَـبْدَ مَـجْبُورٌ في قـالب الاختيـار ، لكن لا يكفي في هذا مـجرد العلم ، ولا بـد من الذوق الصريح كـمـا تقدم ، وعـن هذا الذوق عَبَّـر

---

(1) ما بين المعقوفتين سقط من : أ .

(2) ساقط من : ب .

(3) سورة الأنعام : آية (149) .

(4) في ب : أيضًا .

(5) في أ : عند . التصويب من : ب .

الجيلاني [1] رضي الله عنه حيث قال :

أراني كالآلات وهو محركي أنـا قَلَمٌ والاقتدارُ أَصَابِعُ
ولست بِجَبْرِيٍّ ولكن مشاهد فعال مريد ما له من ينازع

فإذا حصل للعبد هذا الذوق، زَالَ عنه الإشكَالُ والتعارضُ بين الحقيقة والشريعةِ ، فَيُنزِلُ الحقيقةَ في مَحلّهَا وهو الباطن ،والشريعة في محلها وهو الظاهر ، فقوله [صلى الله عليه وسلم] [2] : « **اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لمَا خَلَقَ الله له** » [3] . جمع فيه بين شريعة وحقيقة بقوله : « **اعملوا** » شريعة « **وكل ميسر...** » إلخ . حقيقة فكأنه قال عليه السلام : « **اعملوا** » أي توجهوا للعمل في الظاهر ولستم بعاملين في الحقيقة .

وقوله عليه السلام : « **لن يدخل أحدكم الجنة بعمله** » حقيقة وقوله تعالى : ﴿ **ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾ [4] . شريعة ، فَالشَّرِيعَةُ تُنسِبُ الْعَمَلَ لِلْعَبْدِ باعتبار مَا جُعِلَ فيه من الاختيار في الظَّاهِرِ الَّذي هو الْكَسْب ، والحقيقة تنفيه عنه باعتبار ما في نفس الأمر .

وهكذا يسيرُ العَبْدُ بَيْنَ حقيقة وشريعة .

فالحقيقةُ : اعتقادٌ في الباطن، **والشَّرِيعَةُ** : عَمَلٌ في الظاهر ، وَقَدْ تَمَسَّكَ الكُفَّارُ بالحقيقة وَحْدَهَا حيث قالوا : ﴿ **لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا** ﴾ [5] . ﴿**وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُم**﴾ [6] فلم ينفعهم ذلك حيث أهملوا الشريعة ورفضوها .

---

(1) هو أبو صالح عبد القادر الجيلاني وُلِدَ سنة (470 هـ) بجيلان وتوفي ببغداد سنة (561هـ) . ترجم له في : الطبقات الكبرى للشعراني (1 / 108 ـ 114) ، وجامع الكرامات العلية (ص 78 ، 77) .

(2) ما بين المعقوفتين سقط من : ب .

(3) عزاه السيوطي في الجامع الصغير للطبراني من رواية ابن عباس وعمران بن حصين ورمز له بـ (صح) أي صحيح : (1 / 77) .

(4) سورة النحل آية (32) .

(5) سورة الأنعام آية (148) .

(6) سورة الزخرف آية (20) .

وكذلك من قال : دعاني وَسَدَّ الباب فما تكون حيلتي فإن احتج بالقدر ، مع أَنَّ الاخْتِيَارَ الذى جعله الله في العبد في الظاهر حاصل له في العادة ، لأنه قادرٌ على الخُرُوج مِنَ الْكُفْر ، ينطق بالشهادة مثلا . وأما الجَبْرُ البَاطِنّيُّ والقَهْرُ الإلَهِيُّ فلا يَتَعَلَّقُ به التَّكْليفُ ؛ إذْ لَيْسَ في طَوْق العَبْد ، بَلْ هو من أسرار قَهْرِ الرُّبُوبيّةِ الذي اخْتَصَّ الله به ﴿ **لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ** ﴾ [1].

قال سهل [2] ﷺ : « الألوهية أسرار لو كشفت لبطلت النبوءات [3] وللنبوءات أسرار لو كشفت لبطل العلم ، وللعلم أسرار لو كشفت لبطلت الأحكام » انتهى .

فلو انكشفت أسرار الألوهية من غير رداء لصار الخلق كلهم أغنياء عن تلقي العلم لاستغراقهم في بحار الأحدية ؛ فلا يحتاجون إلى واسطة ولو انكشفت أسرار النبوءات للخلق ؛ لصاروا كلهم علماء لظهور العلم الإلهى الذي كان كامنًا في بطونهم ، فيستغنون عن تلقي العلم من الأنبياء ، ولو انكشفت أسرار العلم بحيث يتبين الشقي من السعيد لبطلت الأحكام ، إذ يقول الشقي : لا ينفعني عمل فلا يعمل ، ويقول السعيد : أنا سعيد لا نحتاج إلى عمل ، فتبطل أحكام الشرائع ، فأبْهم الله تعالى هذا الأمر عن عباده ، ودعا الكل إلى طاعته وتوحيده فهدى من سبقت له السعادة ، وخذل من سبق له الشقاء . قال تعالى : ﴿ **وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾ [4].

ومن سبقت له رتبة عالية حرّكه إلى النهوض لأسبابها إذا [5] أراد الله أن

---

(1) سورة الأنبياء ، آية : (23) .

(2) سهل بن عبد الله بن يونس التستري توفي سنة (283 هـ) وقيل: سنة (273 هـ) . ترجم له في صفة الصفوة (4 / 41 ، 42) ، الرسالة القشيرية (ص 400 ، 401) ، الطبقات الكبرى للشعراني (1/ 77 _ 79) .

(3) في ب : النبوة .

(4) سورة يونس ، آية : (25) .

(5) في ب : إن .

يظهر فضله عليك خلق فيك (1) ونسب إليك ، ومن سبقت له رتبة متوسطة حَرَّكَهُ إلى أسبابها على ما جرى به القدر السابق فلا يصح الاحتجاج بالقدر في هذه الدار .

فإن قلت: قد ورد في الحديث أن آدم وموسى عليهما السلام ، قد تَحَاجَّا فقال موسى عليه السلام لآدم : « **أنت الذي خَيَّبْتَنَا وأخرجتنا من الجنة ، وقال آدم: يا موسى أتلومني على أمر قضاه الله عليَّ قبل أن أخلق ، فَحَجَّ آدم موسى**» أي غلبه بالحجة .

قلنا : كان هذا الاحتجاج بعد موتهما في دار البرزخ وليست دار التكليف ، وإنما هي دار التعريف ، فيصح الاحتجاج فيها بالقدر ، قال : **قلت**: كيف يتوجه العتاب إلى العبد وهو لم يفعل شيئًا في الحقيقة ؟ **قلنا** : توجه إليه باعتبار نسبة الفعل لنفسه على الاختيار الذي خلقه الله فيه الظاهر رُوِي أن العبد إذا بلغ حَدَّ التكليف أرسل الله له ملائكة [ولعلهم الحفظة] (2) فيقولون له : من أنت ؟ فيقول : عبد الله . فيشهدون عليه بالعبودية لله ، فإذا تحرَّك أول حركة ، قيل له: من فعل هذا ؟ فيقول : أنا ، فيشهدون عليه بنسبة الفعل لنفسه. ا .هـ . فعلى هذه النسبة يقع الحساب ، فمن خرج عنها ذوقًا وكشفا ، ورآها من الله حقًا سقط عنه الحساب كما تقدم في السبعين ألفا والله تعالى أعلم .

طلسام (*) توحيد الصفات : اعلم أن هذا الهيكل الإنساني جعله الله أنموذجًا ربانيًا تحاكي [صفاته (3)] صفات الرحمن ، فجعل فيه قدرة وإرادة وعلما وحياة وسمعا وبصراً وكلاما . وهذا معنى الحديث أن الله خلق آدم على صورته على بعض التأويلات ، إلا أن هذه الصفات التي جعلها الله فيه ، حادثة ناقصة ، وصفات الحق تعالى قديمة كاملة وهي كامنة في الإنسان كمون الثمار في الأغصان، أو كمون الزبد في اللبن ، فاحتجبت صفات الحق القديمة بصفات العبد

(1) محو في : ب .

(2,3) ما بين المعقوفتين سقط من : أ . الزيادة من : ب .

(*) انظر كتاب : طلسام توحيد الأفعال للشيخ ابن عجيبة مخطوط عدد (1148 ك) ضمن مجموع .

الحادثة ، وقد تخرق له العادة فيظهر عليه من العلم أو القدرة [أو السمع] (1) أو البصر أو الكلام ما يبهر العقول ، ثم يستر ذلك عنه فيرجع لأصله ، وتقف عند حَدِّهِ ،فلما احتجبت عنه صفات الحق بطلسام وجود صفات نفسه ،زَعَمَ أَنَّهُ يقدر بقدرته ويريد بإرادته ، ويحيا بحياته ، ويسمع بسمعه ، ويبصر ببصره ويتكلم بكلامه ، وفي الحقيقة إنما صفاتُهُ قائمة بصفات الحق الحق ، وشعاع من شعاعها لا تأثير لها أصلا ، فإذا انكسر عنه هذا الطلسام الوهمي (2) ، وارتفع له الحجاب عن توحيد الصفات تحقق ألا قدرة له ، ولا إرادة ولا علم ولا حياة إلا بقدرة الله وإرادته .

وكذا سائر صفاته ،فصار يتحرك بقدرة الله ، ويريد بإرادته ، ويسمع ويبصر بالله ، ويتكلم بالله ، وفي ذلك يقول الششتري ﷺ : « أنا بالله أنطق ومن الله أسمع » .

وقول القطب ابن مشيش :حتى لا أري ، ولا أسمع ولا أحس ولا أجد إلا بهما . وفي مثل هذا ورد الحديث: « **فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يُبْصِرُ به** » (3). الحديث والله تعالى أعلم .

ـ **طلسام توحيد الذات** : اعلم أن [الله تعالى] (4) كان كنزا خَفِيًّا لَطِيفًا أَزَلِيًّا لَمْ يَعْرِفْهُ أَحدٌ ، فلمَّا أراد أن يُعْرَفَ تَجَلَّي بتجليات من ذلك الكنز كشفها وأظهرها بمقتضى اسمه الظاهر ؛ ثم أبطنها وَسَتَرَهَا بِمقْتضى اسْمِه الباطن ، فَصَارَتْ ظاهرة باطنة أبطنها بما أظهر عليها من أحكام العبودية ، وأوصاف البشرية، ونعوت الحديثَّية ، من حِسِّ التكوين والتشكيل والتقييد والتحييز ، ولا حادث في الحقيقة إنما تجدد لها التجلي والظهور ، فبطنت بعد ظهورها ، فتحقق

(1) ما بين المعقوفتين سقط من : أ . الزيادة من : ب .
(2) في أ : الوصفي التصويب من : ب .
(3) أخرجه البخاري في الصحيح في كتاب الرِّقَاق ، (38) باب في التواضع، حديث (6502) (ص: 1639) من رواية أبي هريرة ، وهو جزء من حديث أوله : « **إن الله قال : من عَادى لي وَلِيًا فقد آذَنْتُهُ بالحَرْب** » . . . الحديث
(4) ما بين المعقوفتين في: ب: أن الحَقَّ جَلَّ جَلالُه .

فيها اسـمه الظاهر [واسمه] (1) الباطن ، فمن نظر إلى أصلها وغـاب عن حسِّهَا لَمْ يَحْتَجِبْ بها عن الحق تعالى ورآه ظاهرا فيها ، ومن وقف [عند] (2) حسِّـهَا الظاهر ؛ حجب بهـا عن شهود الحق وصـارت في حقه ظلمـة ؛ ولذلك قال في الحِكَم : « الكونُ كُلُّهُ ظُلْمَةٌ وإنما أَنَارَهُ ظُهُورُ الْحَقِّ فيه » (3) . فإنما هو ظلمة في حق أَهْلِ الْحِجَـاب . وأما في حقّ أَهْلِ العِيَانِ فـالكونُ عِنْدَهُمْ كُلُّهُ نورٌ فإذا اتَّصَلَ العـبد (4) بِشَيْخِ التَّرْبِيةِ غيبه عن أوصافِ ببـشريته بشهود روحانيتة ، وعن أحكام العبـودية بظهور نور الرّبوبيـة ، وعن حس الكائنات بشهـود مَعَـاني أسرار الذَّاتِ فيغـيب عن نفسه بشـهود محبـوبه ، وعن الكون بشهود المكوِّن ، ويقـال : مقام المحبوبية كما ورد في بعض روايات الحديث المتقدم : « **فإذا أحببته كنته** » ، فإذا انكسَرَ هذا الطِّلسَامُ وهو وجودُ العَبْدِ الوَهْمِي ، ووقوفهُ مع أوصافِ بشريته بِالْغَيْبَةِ عَنْهَا ظهـر له هذا الكنزُ الذي كان خَـفِيًّا ؛ وهو الذات الأقـدس ، فيدخل مـقام الإحـسان وينالُ رتبـة الشهـودِ والعِيَـانِ وهي (5) الولاية الكبـرى ، والسعـادة العُظْمَى، وعن هذا عبر ابن العريف (6) ﷺ :

بذلـك سِرٌّ طـال عنـك اكتتامــه ولاح صبـاحٌ كنـت أنست ظلامــه

فأنت حجاب القلب عن سر غيبه ولولاك لـم يطبـع عليــه ختامــه

فإن غبت عنه حَلَّ فيـــه وطبـــت على موكب الكشف المصون خيامه

---

(1) ما بين المعقوفتين زيادة من : ب .

(2) في أ : مع . التصويب من : ب .

(3) الحكم لابن عطاء الله السكندري (ص106) رقم (14) .

(4,5) سقط من : ب .

(6) هو أبو العباس أحمد بن محـمد بن موسى بن عطاء الله الصنهاجي الأندلسي عرف بابن العريف من أعلام الصـوفية بينه وبين القاضي عيـاض مكاتبات توفي سنة (536 هـــ / 1141م). ترجم له في بغيـة الملتمس (ص 166) رقـم (360) ، الصـلة لابـن بشكـوال (1 / 81)، نيل الابتهاج (ص 68) رقم (36) ، شــذرات الذهب (112/4) ، شجـرة الـسـنور الزكية (196/1) رقم (432) بتعليقنا وتخريجنا لحواشيه .

وجاء حديث لا يفل سماعه شهي إلينا نشره ونظامه
إذا سمعته النفس طاب نعيمها وزال عن القلب المعنَّى غرامه

وقال الشُّشْتَرِي في بعض أزجاله : « يا قاصدًا عين الخبر غِطَاهُ أَيْنَكَ ، الخُبْرُ (1) منك والخبر والسُّر عندك ، ارجع لذاتك واعتبر ما ثم غيرك ».

ثم قال : « اسمع كلامي والتهم ، إن كنت تفهم ؛ لأن كنزك قد عدم ، عن كل طلسم » .

واعلم أَنَّ وُجُودَ هَذَا الطَّلْسَامِ حقٌّ وَحِكْمَةٌ صَدْرُ أسرار الذَّات العَالِيَة ، وَسِرُّ أَسْرَارِ الرُّبُوبِيَّة ليبقى الكنزُ مَدْفُونًا ، والسِّرُّ مَصُونًا ولولا هذا الطَّلْسَامُ ، لافتضح السِرُّ وَنَالَهُ مَنْ لا يَسْتَحِقُّهُ فيبتذل بلا إظهار ، وينادى عليه بلسان الاشتهارِ وَهَذَا هُوَ المُرَادُ الذي أشرنا إليه في الحديث .

وما بين الناس ،وبين أن ينظروا إلى ربِّهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جَنَّةِ عَدْنٍ ، وهو رِدَاءُ الحِسِّ والقهرِيَةِ المَنْشُورِ على وجه أسرار المعاني ، وهذا في حق أهل الحجاب [في الدنيا] (2) .

وَأَمَّا مَنْ زَالَ عنه طَلْسامُ تَوْحِيدِ الذَّاتِ فلا يُحْجَبُ عنه الحَقُّ تعالى ساعة لا في الدنيا ولا في الآخرة ، فهم ينظرون إلى الذات الرحمن في كل أوان ،ويُسُمَّى هذا الطلسام عالم الفرق ، وعالم الحكمة ، وعالم الملك ، وعالم الأشباح ، وعالم الأثر ، [وعالم الشهادة] (3) ويسمى الكنز الذي ستر به عَالَمُ الجَمْعِ ، وَعَالَمُ القُدْرَة ، وَعَالَمُ المَلَكُوت وعالمُ الأرواحِ ، وَعَالَمُ الغَيْبِ . وأما عالم الجَبَرُوت فَهَوَ البَحْرُ اللَّطِيفُ الفَيَّاضُ الَّذي يَتَدَفَّقُ منْه أَنْوارُ المَلَكُوت ، وهو مَا لَمْ يَقَعْ بِهِ التَجَلّي مِنَ الْكَنْزِ الْمَصُونِ والسِّرِّ المكنُونِ ، والحَاصلُ أَنَّ الوُجُودَ وَاحِدٌ وهو وجود الحقِّ تعالى . فما وقع به التَّجَلِّي من نظره بعين الجمع سَمَّاهُ ملكوتًا ، ومن

(1) في ب : الخمر .
(2) ما بين المعقوفتين سقط من : ب .
(3) ما بين المعقوفتين سقط من : أ . الزيادة من : ب .

نظره بعين الفرق في عالم الحكمة سماه ملكا ، وما لم يقع به التجلي من الأسرار اللطيفة الغيبية فهو جبروت ، وهذا مجرد اصطلاح [خارج عن اصطلاح] [1] اللغة ، فأهل الفرق من أهل الحجاب لا يرون إلا الملك لوقوفهم مع حس الكائنات ، فاحتجبت عنهم أنوار الملكوت وأهل الفناء لا يرون الملكوت ، وتسرح أفكارُهم في أسرار بحار الجبروت ،وأهل البقاء يرون الملكوت ، ويسرحون في بحار الجبروت ، ويَتَنَزَّلُونَ إلى عالم الملك لأداء حقوق العبودية والأدب ، مع الربوبية ويتَفَنَّون في علومه ، فلا يحجبهم جمعهم عن فرقهم ، ولا فرقهم عن جمعهم ولا فناؤهم عن بقائهم ولا بقاؤهم عن فنائهم ، بل يُعْطُوا كل ذي حَق حقه ويوفون كل ذي قسط قسطه .

جعلنا الله من خَوَاصِّهِمْ بِمَنّه وكرمه آمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا [والحمد لله رب العالمين] [2] .

(1) ما بين المعقوفتين سقط من : أ . الزيادة من : ب .

(2) ما بين المعقوفتين زيادة من : ب .

فهرس موضوعات الكتاب

الرقم الترتبي	الموضوع	رقم الصفحة

الكتاب الأول: معراج التشوف إلى حقائق التصوف

الكتاب الثاني : كشف سر لب الألباب